روايات عبير

www.liilas.com ريما

ليندا بيوتشستر

عودة الحب

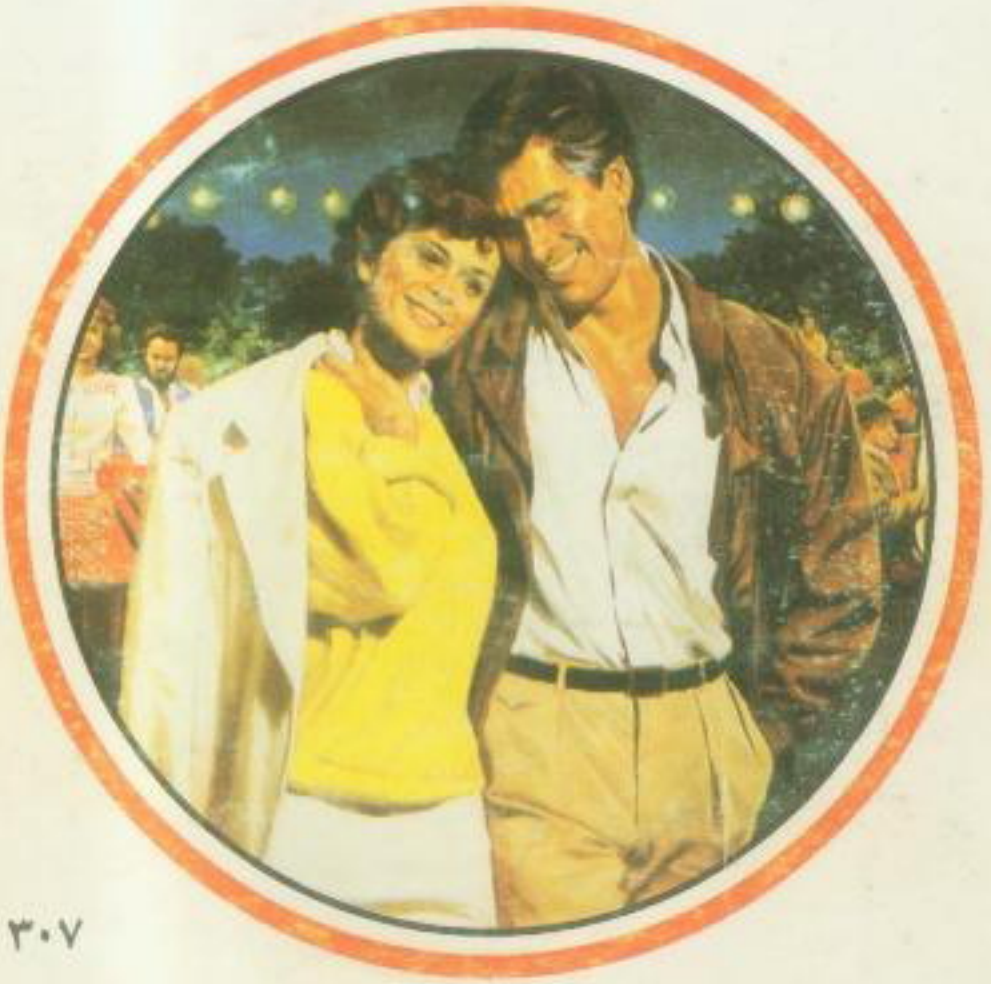

روايات عبير

ABIR - No 307

www.liilas.com ريما

كان عيد زواجهما العاشر يوما للمواجهة

لم تعد "فرانشيسكا" قادرة على الاستمرار في زواجها الوهمي، ولاعلى السماح للأمور أن تذهب إلى أبعد من ذلك .

كانت بالنسبة للعالم الخارجي تحوز كل شيء ؛ زوج جذاب ناجح ، وابن بهي الطلعة ، ومنزل ريفي جميل . ولكن "أوليفر" كان يعيش متفرغاً لعمله ، ومن المحتمل طبقا لشكوك فرانشيسكا؛ لسكرتيرته المبهرجة .

وأخذت الأمور بين يديها بلا مبالاة . كيف سيتصرف "أوليفر" حينما يواجه خطر فقد زوجته ؟ والأهم من ذلك ، ماذا كانت تأمل "فرانشيسكا" أن يكون رد فعله .

ثمن النسخة

لبنان	٣٠٠٠ ل	الكويت	١ د	Canada	5 $
سوريا	١٠٠ ل	الامارات	١٢ د	U.K.	1.5 £
الاردن	١,٥ د	البحرين	١,٥ د	المغرب	١٥ د
العراق	٢ د	قطر	١٢ ر	ليبيا	١ د
السعودية	١٥ ر	مسقط	١,٥ ر	تونس	١,٥ د
				اليمن	٥٠ ر
France	15 F.F				
Greece	1200 Drs.				
Cyprus	1.5 P.				

ريما www.lilas.com

مقدمة

كيف يمكن لعلاقة الحب بين الزوجين أن تستمر وارفة مزهرة ؟

حول هذا التساؤل تدور أحداث روايتنا هذه . لنصل من خلالها إلى بعض المعاني الإنسانية العميقة كي يدوم الحب .

لابد اولا أن يظل كل طرف محور اهتمام الطرف الآخر ، حتى لاتتباعد الأرواح بتباعد الأجساد ، أو باختلاف الاهتمامات .

ولابد ثانيا من المكاشفة والمصارحة . فرب مشكلة تبدو داخل أعماقنا ضخمة كؤودا، وإذا بها - حين نخرجها للضوء - وهم وخيال .

حسنا فعلت بطلتنا في هذه القصة ، حين وضعت الرابطة الزوجية بينها وبين زوجها موضع الامتحان القاسي ، لتخرج من هذا الامتحان اكثر قوة ، واكثر عمقا ونضجا .

ويعرف تماما ما يفعله بها ، بتوقيت اشبه بمن يلقي بالحراب على فريسة لاحول لها .

وكانت في قمة الإرهاق ايضا ، وتثاءبت بغضب وهي تسوي الحشية المخملية حينما لمحت صورة "اوليفر" منعكسة " على مراة التسريحة . كان متكئا على الباب وجسده السامق الرشيق مغطى إلى حد ما بالبيجامة الحريرية السوداء ، مفتوح نصفها الأعلى، فظهر منها عضلات صدره القوية وكتفاه . وقد ازعجها ظهوره ، اما ما ازعجها اكثر فكانت الصورة التي راها عليها ، وهي منكبة تسوي فراشها ، وجسدها الذي لايستره سوى الملابس الداخلية الشفافة .

وتصلبت وهي تستدير لتواجهه بكل عداء :

- " اخرج من هنا ! اتريدني ان استعمل العنف لاعبر لك عن رايي ؟ " .

فابتسم لها بخبث :

- " لقد احضرت لك شيئا تركته في غرفتي " واخرج لها من وراء ظهره مضرب الجولف واستطرد ساخرا :

- " لقد فكرت انه ربما تكونين اكثر امنا مع هذا الشيء بجوارك ولم تكن ستمد يدها لتتناوله ، ومن ثم اكتفت بالحملقة في "اوليفر" . وانتظر وهو لايزال يعد لها بده بالعصا . ثم قال ساخرا :

- " ماذا ؟ " اخائفة ان تاخذيه ؟ " فخطت إلى الأمام وجذبته منه بعنف ، إذ لم تكن تريد ان تبدو خائفة منه . وتمتم :

- " باللاديب " . فردت عليه :

- " ارجو ان تكون قد لاحظت ثقل الحديد بها ... واي رجل يدخل هنا سيتلقاها على ام راسه " .

قال "اوليفر" :

- " في هذه الحالة ، ساخذه منك " وجذبه من يدها ، والقاه على كرسي ، وامسكها من كتفيها وقال :

- " لقد تغافلت عن ان تشكريني " .

ودق قلبها كالمجنون ، وبدات تقول في ياس :

- " إياك ان ... " ولكن شفتيه اغلقتا شفتيها قبل ان تكمل تهديدها . وانفرجت شفتاها تحت ضغط شفتيه ، وشعرت بعينيها الخائنتين

تنغلقان واصبحت الرغبة تسري داخل كيانها ، وتسربت اهة انفعال من حنجرتها .

وسرت رعدة في بدنها ، وامسكت راسه بيدها ، متخللة شعره باصابعها ، وبادلته قبلاته بحرارة ، بينما يدها الاخرى تطوق عنقه في حب وهيام .

وتساءلت متحيرة ، هل لو كان على علاقة بامراة اخرى ، اكان يحمل لها كل هذا الحب ؟

وانتابتها موجة من الحيرة المريرة ، ربما يكون قد وضع عمله في المقام الاول فكان مشغولا عنها طوال تلك المدة ، ولكن دون ان ينال ذلك من مقدار حبه لها ، وان صدمة فراقها له قد غيرته ؟

واخرجها من جو التالف الذي بدا يسود بينهما رنين مزعج لجرس الباب ، فجفلا معا ، ثم نظر "اوليفر" إليها وتساءل :

- " من يكون هذا بحق الجحيم " فردت في وجوم :

- " إنه جرس الباب " قال :

- " اعلم ذلك ! " ثم سال من بين اسنانه ، والرنين يزداد إلحاحا :

- " هل تنتظرين احدا في هذا الوقت ؟ " فحملقت فيه غير فاهمة .

- " إني لا انتظر احدا ! " ونظرت إلى الساعة في دوار ، وكانت الثانية صباحا تقريبا ، ثم ادارت راسها لوجه "اوليفر" المقطب وفهمت مايعني ، فاحمر وجهها :

- " ما الذي تقصده بسؤالك ، من انتظر ؟ "

- " إنك تعرفين ما اقصد "

- " كلا ، فليس من عادتي دعوة احد في انصاف الليالي "

وعاود الجرس الرنين بصورة اعلى ، وحملق فيها "اوليفر" وهو يلملم بيجامته حوله وقال من بين اسنانه بسخرية :

- " الا يكون "مات" ؟ " فردت بتقزز :

- " كلا ، لن يكون " . وامسكت بغطاء السرير تلفه حول جسدها المنتفض وقد تكومت عليه تراقبه وهو يكشر عن اسنانه لها :

- " من غيره سياتي في هذه الساعة ؟ "

ونظرت إليه في كراهية وصرخت :

www.liilas.com ريما

الفصل الأول

خطت "فرانسيسكا" إلى الوراء مبتعدة عن المائدة ، مبتسمة للمعان ما عليها من فضيات وللمحارات المروحية المزينة لها ، وللأزهار الحمراء الداكنة في إنائها الكريستال الذي تتوسطه.

وقالت لها مسز "هاين" وهي تدس مريلة المطبخ في حقيبتها : " يبدو الجو رومانسياً حقاً ، اليس كذلك ؟ "

فردت عليها : بلى الجورائع ، وعيناها الزرقاوان تتحولان إليها: " نعم ، شكرا لتاخرك معي إلى هذا الوقت لتجهيز كل شيء " .

- " لا عليك ياعزيزتي ، لقد كان هذا مدعاة لسروري ، اتمنى لكما سهرة ممتعة . فالرائحة المنبعثة من البطة تبين انها لذيذة المذاق فعلا . وقد تركت حلوى الكريز جاهزة لاتحتاج إلا إلى التدفئة في فرن الميكروويف ، اما عصائر البرتقال ففي الثلاجة . اظن ان هذا كل شيء .. ياإلهي ، لقد كدت انسى " ودست يدها في حقيبتها لتخرج ظرفا كبيرا قائلة :

- " عيد زواج سعيد ، ياسيدة رانسوم "

www.liilas.com ريما

وأخرجت "فرانسيسكا" الكارت اللامع وهي تبتسم في تأثر قائلة :

- " أوه .. شكرا لك .. لكم انت طيبة " . وراقبت مسز "هاين" تعبيرات وجهها في رضا .

- " انا سعيدة لأنه اعجبك . والآن . أواثقة انت انك لاتريدين مني البقاء لأقدم العشاء واغسل الأواني بعده . فالمفترض الا تكوني مشغولة في ليلة متميزة كهذه "

ضحكت "فرانسيسكا" في رقة وخبث وقالت :

- " ياسيدة "هاين" . حينما كنا حديثي العهد بالزواج . لم يكن بمقدوري استئجار من يطبخ لنا ويقوم بالتنظيف . وكان علي ان اقوم بكل ذلك . ولكم كنت استمتع بذلك . شكرا لعرضك البقاء . وإني مقدرة لك معاونتك لي . ولكني أريد ان يكون زوجي لي كلية هذه الليلة . بل إني لن اهتم بغسيل الأواني هذه الليلة . فهذا امر يمكن تأجيله إلى الغد "

وغمزت لها السيدة "هاين" بعينها قائلة :

- " فهمتك . فالسيد "رانسوم" مشغول دائما . وسيكون امرا رائعا ان تحتفظي به لنفسك كلية ليلة ما . حسنا . اتمنى لكما ليلة ممتعة "

وهرعت إلى الخارج صافقة الباب وراءها . وما إن خلت "فرانسيسكا" إلى نفسها حتى وضعت البطاقة وسط المجموعة الصغيرة التي وصلت بالفعل . وقد رتبتها بعناية على الرف الرخامي الأبيض فوق المدفأة .

لقد أرسل لهما عدد قليل من الناس بطاقات التهنئة . إذ إن عددا قليلا يعلمون بهذه المناسبة . وكان هذا مصدر سعادة لها . فالذين أرسلوا تلك البطاقات اناس تحبهم وتعلم انهم يحبونها . فهي لاتريد ذلك الفيض من التهاني التي تصلهما راس كل سنة . من رجال الأعمال المتعاملين مع "أوليفر" . عملاء او موريين . ممن يعملون له او يشترون منه . او قابلوه في مناسبات اجتماعية . او بودون ذلك - هذا الحشد من المعارف الذين يعرفون زوجها . فمن الواضح ان زوجها يعرف المئات من الناس الذين لم تقابل "فرانسيسكا" اغلبهم . وتقوم سكرتيرته بالرد على التهاني التي تصل إلى مكتبه في لندن مباشرة .

ولكن هناك الكثيرون ممن يريدون ان يدعوا ان العلاقة ليست شخصية فحسب . ومن ثم يرسلون بطاقاتهم إلى المنزل الريفي الذي يملكه السيد "رانسوم" وتتفحصها دون انفعال . ويبدو أن عددهم يتزايد كل عام . ويفقدونها بالتالي قدرا اكبر من معنى عيد الميلاد .

ولم تكن هناك بطاقة من "أوليفر" نفسه . ولكنه أرسل الأزهار التي تسقتها بسرور وبيدين حانيتين على المائدة . فهي وإن كانت تتسلم منه كثيرا باقات من الأزهار . فهي متأكدة أن الباقة هذه المرة من اختيار زوجها نفسه . وليس من اختيار سكرتيرته النشطة الأنسة "سيلفستر" . فـ"أوليفر" فقط هو الذي يعرف ان أول باقة ازهار أرسلها لها كانت حمراء داكنة . وقد كلفته اكثر مما كان يطيق في تلك الأيام .

وقد ويخته يومها ودموع السعادة تملأ عينيها . إذ كانا في حاجة إلى كل بنس من مرتبه لأمور اهم من الأزهار . وقد قبلها يومها وقال :

- " سياتي اليوم الذي سارسل لك من الأزهار ماتختنقين به "

وحملقت في رف المدفأة دون أن تراه وهي مستغرقة في ذكرياتها . ثم ركزت فجاة عينيها على الساعة ذات الطراز الفيكتوري بين مجموعة البطاقات وصرخت على التو من الفزع . فـ"أوليفر" قد يصل في أية لحظة وهي لم ترتد ملابسها بعد ! وطارت صاعدة الدرج وهي تفك ازرار بلوزتها . واتجهت إلى الحمام وهي تتخلص من بقية قطع الملابس . ثم وضعت على شعرها الأصفر القنسوة حمام وتركت مياه الدش الدافئة تنساب فوق جسدها . لقد رتبت العملية كلها ترتيبا زمنيا رائعا . ولكنها مع ذلك تأخرت وعليها أن تكون في عجلة طوال هذه الفترة المهمة من الأمسية . اللعنة !

وتصلب جسدها حينما سمعت رنين الهاتف . من عساه يكون ياترى؟ لقد عزمت ان تحول الهاتف إلى جهاز الرد . وستفعل ذلك بمجرد ان يقف رنينه . حمدا لله ان "أوليفر" لم يعد بعد . فالمكالمة اغلب الظن له . فمعظم مكالمات نهايات الأسبوع تكون له . وهي لاتريد أي شيء يشغله عن أمسيتها . وخطت خارج الدش . وخلعت القنسوة البلاستيك . أرسلت شعرها . ولفت نفسها في روب من قماش المناشف . متجاهلة رنين الهاتف الذي لم ينقطع حتى توقف . ثم

هرولت إلى أسفل وحولته إلى آلة الرد . فكل مكالمة يمكن أن تنتظر إلى الغد .

وعادت صاعدة إلى غرفة النوم وجففت نفسها برفق بالمنشفة ، وارتدت طاقما من الملابس التحتية البيضاء الحريرية كانت قد وضعته على السرير . أما هي فقد كانت فارعة الطول بارزة عظام الوجنتين ، ذات عينين واسعتين داكنتي الزرقة ، وفم دقيق التحديد . وألقت نظرة على جسدها في المرآة قبل أن تدخل في ردائها ، وتنهدت على افتقار جسدها لتلك الانثناءات الأنثوية . فقد كانت نحيفة ، صغيرة النهدين وإن كانا جميلي التكوين ، وعلى العموم فقد كانت تفتقر إلى ما كانت تتوق إليه من جاذبية انثوية .

وإذا كان الناس يرددون أن الشقراوات يتمتعن بالجاذبية ، فإن ذلك لا ينطبق عليها كشقراء . فشعرها فاتح اللون إلى درجة تجعله أقرب إلى الفضة ، وكانت تطيله لأن "أوليفر" يردد دائما أنه يفضله هكذا . وكانت تجعله مصففا في تسريحة " شنيون" متقنة التصفيف ، لأن "أوليفر" يقول إنه يجعلها أنيقة ، وإذا عز عليها أن تكون جذابة ، فلا أقل من أن تبدو أنيقة لناظريه . وبدت الصورة التي تنظر إليها في المرآة مألوفة إلى حد كبير ، فهذا ماتبدو عليه منذ سنوات طويلة ، فهي لاتكاد تتذكر آخر مرة أجرت فيها تعديلا ما على هيئتها ، وكان ذوق "أوليفر" هو الذي يحدد مايكون عليه مظهرها ، وإن كان قد مضى زمن بعيد منذ أن علق على مظهرها أو اسمعها كلمة إطراء عنه .

هل كان هذا هو ما يعيب زواجهما ؟ الافتقار إلى الإثارة أم كان عليها أن تقص شعرها في تسريحة جديدة ؟ أم أن تشتري ملابس مختلفة تغير من صورتها ؟ وادارت رأسها للناحيتين تحاول أن تتخيل نفسها في شعر قصير ، وملابس صارخة الألوان . ثم ضحكت وانقطت رداءها الأبيض وانزلقت فيه .

لقد كان هذا الرداء أنيقا أيضا ، ذا تفصيلة كلاسيكية" يكسب قوامها المشوق جمالا إغريقيا ويتناسق مع تسريحة شعرها تناسقا رائعا ، ولم يكن "أوليفر" هو الذي انتقاه في الواقع ، ولكنها كانت واضعة ذوقه نصب عينيها وهي تختاره ، عالمة بأنه سيرضي ذوقه .

www.liilas.com ريما

ثم بدأت تفكر في الأمر بشيء من الضيق . إنها في الواقع لن تثير الدنيا أو تجعل الرجال يشهقون بالرغبة لمنظرها هذا ، ولكنه كان مناسبا تماما لزوجة رجل أعمال مهم وغاية في الثراء ، ولكن ، أهذا مانود أن يراها "أوليفر" عليه هذه الليلة ؟ وأمالت رأسها جانبا وهي تعبس .

ربما كان عليها أن تخلع ذلك الرداء ولاتضع على جسدها سوى ماترتديه تحته من ملابس داخلية ؟ فعلى الأقل تبدو عليها أكثر فتنة ! وتخيلت منظر "أوليفر" لوفتحت له الباب على تلك الصورة !

بمقدورها أن تواجهه قائلة ، وهي تطوق رقبته بذراعيها :

-" كل عام وانت بخير ياحبيبي ، بمرور عشر سنوات على زواجنا " .

وتذكرت عيد زواجهما الأول ، حين وجدها في غرفة النوم ترتدي ملابسها ، وألقى نظرة على ماكانت ترتديه من ملابس تحتية سوداء شفافة ، وكيف أقبل عليها يحملها بين ذراعيه، ولم يعنهما العشاء ليلتها ، بل اكتفيا بعشاء خفيف من لحم الدجاج البارد والسلطة ، تناولاه في منتصف الليل ، ولكنها كانت تدرك تماما أن هذا لن يتكرر هذه الليلة ، لقد اختفى اللهيب في علاقتهما منذ زمن ، حسنا ، إن عشر سنوات مدة طويلة، ونظرت إلى ساعتها وعبست .

كان المفروض أن يكون "أوليفر" هنا ! لعل المرور في لندن أكثر زحاما عن المعتاد " إنه سيأتي قائدا السيارة بنفسه ، فهو في المدينة يتخذ لنفسه سائقا يعفيه من عناء البحث عن مكان لانتظار السيارة ، أما في عوبته إلى منزله فهو يسافر عادة بسيارته الجاجوار المحببة له ، قديمة الطراز ولكنها في حالة ممتازة بما يوليها من عناية تدل على الإعزاز .

وجلست لتضع زينتها من مساحيق وأصباغ ، معطية جفنيها لونا أحمر قانيا وشفتيها صبغة وردية ، ثم ألقت نظرة فاحصة مرة أخرى قبل أن تضع بعضا من الحلي والجواهر ، طوقا ذهبيا حول جيدها ، وأسورة متناسقة معه حول معصمها ، وقرطا ذهبيا يتدلى في أذنيها، حسنا ، إنها أكثر إلفانا للنظر الآن وغمرت نفسها بالعطر الفرنسي المحبب لـ"أوليفر" الذي كان دائما يشتريه لها كلما سافر إلى الخارج ،

www.liilas.com ريما

ثم هبطت إلى الطابق السفلي.

وتوقفت في الصالة المكسوة جدرانها بالخشب ، تتنصت ترقبا لاية سيارة ، ولكن لم تسمع سوى حفيف أوراق الشجر في الحديقة ، إلى أن رن جرس الهاتف فجعلها تطفر ، وتوقف الرنين إذ بدات آلة الرد تعمل ، فاسترخت مرة أخرى .

من تراه يكون ؟ لقد قال إنه سيكون في المنزل في السابعة ، وهاهي ذي قد تجاوزته بربع الساعة .

وملات رائحة البطة المحمرة الجو، ومن الافضل أن تتجه إليها قبل أن تحترق.

واتجهت إلى المطبخ وارتدت مريلة تكسوها تماما وقاية لردائها ، وادخلت يدها في قفاز للفرن وكانت البطة في حالة طيبة ، فاعادتها إلى الفرن وخفضت من حرارته حيث لم يصل "اوليفر" بعد . إن البط محبب لولدها ايضا ، وقد تعودت ان تطهوه في عيد ميلاد "جون" ، ولكنه يفضله محشوا بالبرتقال ومقدما بعصير البرتقال ، اما "اوليفر" فإنه يفضل الكرز ، وكانت الخضراوات التي ستوضع للطهو على المائدة بمجرد أن يحضر "اوليفر" فاصوليا فرنسية ، وجزرا وفاصوليا خضراء .

والفاصوليا الخضراء صنف اخر مفضل لـ"جون" . لكم هي مشتاقة إليه ، لقد كانت حياتها تدور حوله منذ ان ولد ، وكانت في غاية السعادة هنا في "ساسكس" ومشغولة تماما اثناء غياب "اوليفر" في الخارج او في عمله بلندن ، إذ كان "جون" محتاجا إليها ، وكانت هي و"اوليفر" يرغبان في منطقة ريفية تهيء الحياة الهادئة لولدهما الوحيد ، وكان منزلهما عتيقا وجميلا احبه "جون" كما احبته هي ، وعاش فيه طفولة سعيدة ، ولم تندم هي لحظة واحدة لتفضيلها المعيشة بعيدة عن لندن . اما الآن وقد ابتعد عنها "جون" في مدرسته الداخلية، فشعورها بالوحدة في ازدياد . لقد كانت تعلم دائما ان زوجها قرر إرسال "جون" إلى مدرسة داخلية عند بلوغه الثامنة ، وكان من عادتها تقبل قرارات زوجها عن طيب خاطر ، اما بالنسبة لـ"جون" فقد قاومت قراره.

وده ش "اوليفر" لذلك ، لايكاد يصدق . لقد اصبح رجلا مهما ، يستخدم مئات الافراد وهم رهن إشارته ، لايناقشه احد - ناهيك عن زوجته ! وحينما اخبرته "فرانسيسكا" انها لا تريد لـ"جون" ان يذهب بعيدا عنها حملق فيها "اوليفر" ، وتلاعبت حواجبه ، بينما شعت عيناه بضجر غير مصدق ، كان فارع الطول ، ذا وجه حاد التقاطيع ، ولكنه كان ذا شخصية طاغية ، الامر الذي تطلب ان تستجمع له "فرانسيسكا" كل شجاعتها لتجادله .

- " انت تعلمين انني قد سجلت اسم " جون" منذ بلوغه عاما من عمره ، فلا تكوني سخيفة ، إنه سيتاقلم هناك في الحال، فكل الاطفال يفعلون ذلك ، فلماذا لا يتاقلم هو؟

اللهم إلا إذا كنت قد حشوت راسه بافكار فارغة بانه لن يرتاح هناك ؟ واخترقها بنظراته .

وربت عليه معترضة في عصبية " لم افعل شيئا من هذا القبيل ، إنني لم اتحدث معه بكلمة واحدة ، ولكنه جد صغير ، اصغر من أن يغادر المنزل في هذه السن ، الا يمكن ان ينتظر عاما اخر " .

وزاده إصرارها على مواجهته دهشة وضيقا ، فرد عليها بقوله ، وقد تقلص فمه بالإصرار :

- " إن الثامنة هي العمر الذي يبدا الاولاد فيه هناك ، و"جون" ناضج بما فيه الكفاية ، وسيتاقلم مع الوضع ، فلا تعامليه كطفل رضيع " .

واسكتتها كلماته ، وقد شع الالم من عينيها الزرقاوين الداكنتين ، ولوت عنقها الطويل النحيل شاعرة بالغصة في حلقها . لقد كسب "اوليفر" لانها لاتطيق سماع لفظ اخر ، وإن كانت تشك ان يكون "اوليفر" قد فهم سبب إذعانها . إنها متاكدة انه لم يجرحها عامدا ، لقد استخدم العبارة دون قصد منه .

وذهب "جون" إلى المدرسة ، لايزال في عينيها صغيرا لاحيلة له ، تاركا المنزل وراءه باردا فارغا ، وتاركا إياها بلا عمل يشغلها . وقد تلقت منه عدة خطابات لاتكاد تقرا ، ومنها فهمت انه سيستقر بصورة طيبة ، الامر الذي طمان قلبها بعض الشيء ، وإن ظل شعورها بالوحدة مستمرا .

www.liilas.com ريما

ولم يتح لها أن يكون لها طفل آخر . وهو ما كانت تتمناه طيلة عدة سنوات ، حتى أنها أجرت اختبارات لقياس خصوبتها ، ولم يتمكن أحد من الأطباء أن يفسر سبب حملها في "جون" خلال أسابيع من رغبتها في الإنجاب ولم تعد قادرة على الإنجاب بعد ذلك .

ولم يكن "أوليفر" متحمسا لطفل ثان على الإطلاق ، بل كان سعيدا جدا بطفل واحد ، وكان يشعر أن على "فرانسيسكا" أن توقف قلقها بالنسبة لطفل ثان وأن تركز على "جون" . وأن أمامهما متسعا من الوقت ، ويمكنهما تأجيل التفكير في طفل آخر إلى أن يكبر "جون" . ولكنه مع مرور السنوات ، أصبح هو أكثر نجاحا ، وأكثر انشغالا ، وتباعدت لقاءاتهما معا ، وأصبح ذلك الطفل الثاني حلما بعيدا .

لو كان لديها طفل ثان ، خصوصا لو كانت طفلة ، لما شعرت بما تشعر به الآن من انخفاض في المعنويات ، حيث سيكون هناك من هو محتاج إليها ، أما وهي في حالتها هذه ، فقد قررت أنه لابد من تغيير في نمط حياتها ، إما أن يكون لها طفل ثان أو أن تلتحق بعمل ، فلا يمكن أن تستمر بها الحياة على ماهي عليه الآن ، وإلا دفعها ذلك إلى الجنون .

وعاد الهاتف يجلجل ، ونشطت آلة الرد بعد الرنة الثالثة للعمل ، ونزعت "فرانسيسكا" المريلة بيطء وهي تتجه إلى النافذة تمعن النظر في المدخل المؤدي إلى البوابة الحديدية ،التي صنعتها إحدى شركات "أوليفر" لتكون قابلة للتحكم فيها إلكترونيا ، فيفتحها من سيارته عن بعد .

وعادت تنظر إلى الهاتف وهي تعض شفتها ، إن "أوليفر" قد تأخر نصف ساعة إلى الآن . وهو مالم يكن يدهشها في ليلة غير هذه ، ولكنه وعد بكل إخلاص أنه لن يتأخر هذه الليلة ، وهو يعلم أنها تجهز له عشاء خاصا ، مؤقتا للساعة الثامنة بالضبط ، وإن هذا هو عيد زواجهما العاشر ، ولن تتكرر هذه الأمسية إلا في عام تال !

ولكن ماذا لو أن شيئا ماقد حدث ؟ ماذا لو كانت تلك المكالمات من "أوليفر" يشرح سببا لأنه سوف يتأخر ؟ ربما حدثت له حادثة ، أو تعطل أثناء رحلة العودة ، إن أي شيء محتمل الحدوث .

وانحنت على آلة الرد ترجع جهاز تسجيلها ، ثم بدأت تنصت إلى ماعليه من رسائل ، وتصلب جسدها على الفور حال تعرفها على صوت المرأة التي تتحدث .

- " مسز"رانسوم" ، إنني آسفة .. " كان صوت الآنسة "سيلفستر" بين في دلال يتماشى مع مظهرها الفتان . كانت ذات شعر أحمر ، وعيون خضراء ماكرة ، وابتسامة تجعلها تشبه قطة سرقت لتوها شيئا من شخص آخر " .. إن السيد "رانسوم" قد استدعي في جلسة طارئة لاجتماع مجلس إدارة ، فقد حدثت حادثة خطيرة في مصنع "ويلز" ، وقد طلب مني أن أبلغك اعتذاره ، وأنه سيعود إلى المنزل بمجرد أن يكون ذلك ممكنا له ، ولكن لا تنتظريه على العشاء".

والقت "فرانسيسكا" بنفسها على أقرب كرسي واضعة راسها بين كفيها ، بينما الصوت الأنثوي العذب يغمغم :

- " أمر يدعو إلى الشفقة .. إنه عيد زواجكما ، أليس كذلك ؟ أرجو أن تكون الأزهار قد أعجبتك ، وسأتصل بك بمجرد ورود أية أنباء " .

وكانت المكالمة التالية من حماها "فران" : " لقد سمعت لتوي ، أنه حدث انفجار في أحد مصانع "أوليفر" . أخبريني إذا كان هناك شيء مايمكنني عمله ، وسأظل طوال المساء بالمنزل " ورفعت رأسها وعيناها مبللتان بالدموع ، تحاول الابتسام . تصرف مالوف من "هاري" أن يسمع الخبر بهذه السرعة ويعرف مايعنيه . إنه لم يقل ذلك ولكنه عرض عليهاأن يقدم ليظل في صحبتها بينما "أوليفر" في سفرته المفاجئة لـ"ويلز" . فـ"هاري" يعرف تماما ما كان يعنيه عيد الزواج هذا بالنسبة لها ، وكم سيؤلمها أن يخيب رجاؤها في هذه العطلة لنهاية الأسبوع .

أما المكالمة الثالثة فكانت من صحيفة محلية تحاول الاتصال بـ"أوليفر" . ونهضت وأعادت آلة الرد إلى وضعها قبل أن تعاود الصحيفة الطلب . فرجال الصحافة ، خاصة القومية منها ، سيتصلون غالبا في رقمه بلندن ، و"أوليفر" لديه موظفون للعلاقات الصحفية للتعامل معهم ، ولكنها لم تكن راغبة في التحدث مع من يعن له الاتصال في منزله هذا .

www.liilas.com ريما

وعادت إلى النافذة تراقب القمر وهو يصعد عبر السماء المظلمة ، إنها لن ترى "اوليفر" في عطلة نهاية الاسبوع هذه ، إذ سيسافر إلى "ويلز" ، وربما هو في طريقه إلى هناك بالفعل . غمرها شعور قاتل باليأس .

لقد كانت فرصة حقيقية لها منذ عهد بعيد أن تستبقيه لنفسها ، تحادثه ، وتجعله يحس بمشاعرها - وها هي ذي قد مضت وستأخذ الأمور مجراها الطبيعي مرة أخرى . سيعود "اوليفر" مشغولا كالعادة ، وقد يحضر بعض نهايات الاسبوع ، ولكن - غالبا - ما يكون مصحوبا بضيوف ، أناس مهمين يريد أن يؤثر عليهم ، أو عملاء يريد أن يفتنهم، أو أجانب متعطشين لرؤية هذا المنزل الذي يعبر عن انجلترا تعبيرا صادقا .

وجلست على كرسي بجوار النافذة في غرفة الاستقبال ذات الحوائط الكريمية اللون، تحملق في أرجائها بستائرها الإنجليزية الطراز ، المسدلة على النوافذ ، والأرائك والكراسي الوثيرة ، حجرة مريحة تغطي أرضيتها سجادة فخمة ، وتملؤها لوحات بالألوان المائية رسمتها "فرانسيسكا" بنفسها : مناظر للحديقة ، والمنزل الخشبي القديم ، باللونين الأبيض والكريم والسقف الخشبي الأحمر وعليه آثار الزمن ، محاط بالأشجار ، والنهر يتلوى تحته مباشرة وعلى مسافة بعيدة .

لقد قضت أياما سعيدة من أيام الصيف ترسم على شاطئ ذلك النهر، بينما "جون" يصيد السمك أو يسبح في مياهه ، أو يستلقي على النجيل بجوارها يقرأ في كتاب ، وتذكرت بكل مرارة وأسى ما كانت عليه من صفاء ذهني في تلك الأيام ، إن الأمور لن تعود إلى سابق عهدها .

حينما أدارت آلة رد المكالمات في الصباح التالي ، بعد فطور تناولته وحيدة ، علمت أن "اوليفر" سافر بالفعل إلى "ويلز" ، وكانت الآنسة "سيلفستر" هي التي نقلت إليها الخبر بصوتها الرقيق ، مشفوعا باعتذاره ، وأنه سيتصل بنفسه ، بمجرد أن يتاح له أن يطلبها ؛ وجلست "فرانسيسكا" تراقب أغصان الأشجار في الخريف وهي تتمايل على حواف المشايات في الحديقة ، سرعان ماسيحل الشتاء ، أما هي فقد بدأت تشعر بالبرودة بالفعل .

إنها لايمكن أن تبقى هنا لحظة واحدة ، عليها أن تبتعد ليمكنها التفكير ، والتقطت سماعة الهاتف تطلب رقم لندن ، فالآنسة "سيلفستر" يمكنها أن تنقل إلى "اوليفر" رسالة منها إليه هذه المرة .

ولكن الآنسة "سيلفستر" لم تكن موجودة ، لقد سافرت مع "اوليفر" ، بحسب ما أخبرت به " فرانسيسكا" .

ووضعت السماعة ببطء ثم اعتدلت واقفة ، ترتعد . إن الجو يزداد برودة لحظة بعد أخرى وكانت الساعة التاسعة ، وفي العاشرة ستتصل مسز "هاين" لتسأل اسئلة لم تكن مستعدة للرد عليها .

وأسرعت صاعدة إلى الطابق العلوي ، وفتحت دولاب ملابسها ، وجذبت منه بعض حاجات أخذت تكدسها في حقيبة دون أن تفكر بعد فيما تأخذه ، ووضعت عليها معطفا وخرجت من باب المطبخ إلى الجراج حيث تقف سيارتها . وتوقفت فترة لتكتب إلى مسز "هاين" مذكرة مقتضبة تخبرها فيها أنها مسافرة لعدة أيام . وما إن بدأت تقود سيارتها خارج الجراج حتى لمحت مسز "هاين" تفتح باب الحديقة الجانبي ، لم تتوقف "فرانسيسكا" أو حتى تهدئ سرعتها، بل اندفعت إلى البوابات الرئيسية ملوحة لـ"مسز هاين" ، واعية لحملقة الدهشة في عيني المرأة العجوز ، وأغلقت البوابة وراءها اتوماتيكيا ، لاشك في أن أخبار الانفجار في "ويلز" قد وصلت إلى القرية ، فالة نشر الأخبار المحلية تعمل بكل كفاءة ، ومن المحتمل أن الجميع قد علموا بأن "اوليفر" لم يعد لبيته الليلة السابقة .

حسنا ، سيكون لديهم الآن شيء آخر يتكلمون عنه ، فحينما يطلب "اوليفر" أخيرا ، ستخبره مسز "هاين" بأن "فرانسيسكا" قد رحلت ، كيف سيكون رد فعله يا ترى ؟ أم تراه لن يفعل للأمر ، بل سيهز كتفيه وينصرف إلى ماهو أهم من أمور الشركة . لاشك أن الآنسة "سيلفستر" ستقوم بتهدئته ونصحه بالايقلق، وبالتأكيد لن تكون الآنسة "سيلفستر" قلقة بدورها . لقد ذكر لها "اوليفر" ذات مرة أنه كثيرا مايناقش المشاكل مع سكرتيرته ، فهي قد تكون مبهرة للنظر ، ولكنها

www.liilas.com ريما

ايضا ، كما يردد "اوليفر" في إعجاب ، ان لها عقلية الرجال ، عقلية قوية وخلاقة .

وتمنت "فرانسيسكا" لو كان لديها هي الاخرى من تحدثه عن المشاكل ، شخص يمكنها الوثوق به كما يفعل "اوليفر" مع سكرتيرته . لو كان والداها على قيد الحياة لذهبت إليهما ، ولكن والدتها توفيت منذ ست سنوات ، ولحق بها والدها خلال نفس العام . لكم تفتقدهما "فرانسيسكا" ، خصوصا في هذه اللحظة . لقد احبتهما وتمنت لو ان "جون" تعرف عليهما . فهو لا يذكر جده إلا لماما ، اما جدته فلا يذكرها البتة .

وليس لـ"فرانسيسكا" إخوة او اخوات ايضا ، ولم تكن اسرتها قريبة منها . فلها عم في "اسكتلندا" لم تره البتة ، وعمة في "نيوزيلندا" ، قد تتذكرها في بعض الاحايين ببطاقة تهنئة في الكريسماس ، وماعدا ذلك فكل اسرتها "جون" و"اوليفر" .

إن بمقدورها ان تذهب إلى "هاري" بلا شك ، ولكنه ، وإن كانت معجبة به ، فهو كوالد لـ"اوليفر" لن يكون من السهل عليها ان تتحدث معه بصراحة ، خاصة في هذه الظروف . إنه يعتقد ان "اوليفر" هو مصدر الضياء له في الدنيا .

فإلى اين تتجه إذن ؟ حينما وصل تفكيرها إلى هذه النقطة ، اخذت تتساءل في اسى إلى اين هي ذاهبة ؟ لقد قادت سيارتها بلا تفكير ، شيء اشبه بقائد آلي ، وحينما تلفتت حولها ادركت انها على الطريق الرئيسي المؤدي إلى لندن ، وانها متجهة إلى العاصمة .

حسنا ، لم لاتكون لندن هي وجهتها ؟ إنها مدينة كبيرة يتاتى للمرء ان يتوه في زحامها ، وهو ما تريده فترة ما . إنها تريد ان تخلو بنفسها لتفكر ، ورغم ان الريف اكثر هدوءاً ، فالوحدة فيه امر صعب . فالناس هناك نوو ود ، ما إن يروك وحيدا حتى يتقدموا إليك ليحادثوك .

وهم يلاحظون كل شيء ، ويسالون ، ويحاولون ان يعرفوا من تكون ، ولماذا قدمت إليهم ، مبتعدا عن مكان إقامتك . اما في لندن فالامر مختلف ، فمن الممكن ان تقع ميتا في احد شوارعها ويخطو فوقك

الناس بانف ، إذ لا غرابة عندهم ان يرقد شخص على قارعة الطريق يواجه البرد والتجمد .

ووصلت إلى المدينة قبيل الظهر ، واتجهت إلى فندق صغير جذاب خلف شارع "اوكسفورد" في قلب الجانب الغربي من المدينة . وقد اختارته عرضا وهي تتجول بسيارتها ، لان له جاراجا بالقرب منه يمكن ان تضع سيارتها فيه ، ورغم سعر الإقامة الخرافي فيه فهو اكثر امنا .

وكانت الغرفة دثيرة مريحة ، وفتحت حقائبها لتواجه الاشياء الغريبة التي كدستها فيها . لاباس ، يمكنها ان تشتري اي شيء تحتاج إليه ، فقد كان "اوليفر" كريما دائما معها ، ولديها من الرصيد في البنك مايجعل النقود لاتمثل لها اية مشكلة .

وقضت عصر ذلك اليوم تتجول وتشاهد واجهات المحال وتتعرف على وسط المدينة . فهي لاتعرف لندن جيدا إذ إنها اصلا فتاة ريفية من "كنت" ، حيث قابلها "اوليفر" بعد عيد ميلادها الثامن عشر بقليل ، وكانت تعمل في مكتبة القرية وتستعد للالتحاق بكلية الفنون عند حلول الخريف . وكان "اوليفر" في زيارة لوالدها وقدم إلى المكتبة يسال عن موضوع ما يتعلق بالمنطقة ، وسالها ان تخرج للغداء معه ، وبعد ثلاثة اشهر ، كانت قد صارت زوجة له بدلا من الذهاب إلى الكلية .

هكذا تم الامر سريعا وجارفا بالنسبة لهما . فلم يكن "اوليفر" ينوي الزواج بعد - كان اكبر منها عمرا ، ولكنه لم يكن قد حقق لشركته من المال ماحققه لها بعد ذلك ، وكان وقتها محتاجا إلى كل بنس يمكنه ان يدخره ، بل إنه قد اقنع والده برهن منزله ، وكان "هاري" يواجه احتمالا بان يخسره ، ولكن ذلك لم يحدث بالتاكيد . فقد سدد والده القرض له منذ مدة طويلة ، وهو يملك الآن نصيبا محترما في الشركة ولكن منذ عشر سنوات مضت ، لم يكن للشركة وجود إلا في عقلين فقط ، عقل "اوليفر" ، وشريكه، "مات كيلنر" .

لقد كان "مات" هو العقلية المبدعة الفذة وراء كل ذلك ، فهو يخترع المعدات الإلكترونية التي يسوقها "اوليفر" بهذا النجاح . لقد كانا زميلي دراسة ثم صديقين حميمين ، وهو امر يدعو إلى الدهشة في حد

www.liilas.com ريما

ذاته ، فـ"مات" من الاشخاص الذين يعيشون دائما في الظل ، نادرا مايغادر معمله ، ويخاف الاختلاط بالناس ، ولم تكن "فرانسيسكا" تعرفه إلا من بعيد .

فعلى مدى السنوات الماضية ، كان "اوليفر" يخرجه بين الحين والآخر من قوقعته ليحضره إلى المنزل للغداء او العشاء ، في شقتهما المتواضعة ذات الحجرتين في بادئ الأمر ، في السنوات الاولى من زواجهما ، ثم في شقتهما التالية بعد ذلك ، وقد كانت ترتفع في مستواها مع نمو الشركة ، إلى أن استقر بها المقام في "لامبورن" منذ خمس سنوات .

لقد تحقق النجاح سريعا بشكل ملحوظ ، فالإلكترونيات مجال ينمو بسرعة الضوء ، و"مات" شخص عبقري ، خجول ولايجيد التعبير عن نفسه ، غير لبق ومتردد من ناحية العلاقات مع الناس ، ولكنه ماهر بدرجة صارخة ، وكانت "فرانسيسكا" تشعر معه بالألفة التامة حينما كانا يتقابلان ، لانها كانت تعلم ان "مات" لايتوقع منها اكثر مما تقدمه إليه ، فقد كانت تماثله خجلا ، ولم يكن ايهما يجد سهولة في الاشتراك في الاحاديث العارضة ، فكانا يجلسان صامتين يستمعان إلى الموسيقى ، وكان "اوليفر" يسر لذلك .

كان "اوليفر" في بادئ الأمر يغيظها بقوله :

- كم انتما متوافقان " ولكن الأمور اخذت مجراها واصبح وجوده هو نفسه في المنزل نادرا ، وتوقف عن إحضار "مات" . ولايزال التعاون بين الرجلين وثيقا ، فالشركة تعتمد عليهما معا ؛ على اختراعات "مات" ومقدرة "اوليفر" كرجل اعمال على التسويق الناجح .

وتوقفت "فرانسيسكا" عن السير ، غارقة في التفكير ، والناس من حولها يروحون ويجيئون لايتوقفون عن : " اتسمحين ؟ "

- " من فضلك ؟ " ، وهي لاتكاد تنتبه لهم . ثم استدارت فجاة ونادت على سيارة اجرة .

كانت الشركة قد انتقلت بمكاتبها الرئيسية إلى الجانب الشرقي من المدينة ، ولم تكن "فرانسيسكا" قد زارت المكان الجديد سوى مرتين ، يوم أن وقع "اوليفر" عقد الإيجار ، واخذها مع "مات" للعشاء احتفالا

بالمناسبة ، ويوم ان زارت المكان مع "جون" واخذا جولة خلال الطابقين اللذين يشغلهما المقر الرئيسي للشركة في المبنى ، وكان "اوليفر" قد دعاهما لتلك الزيارة ، ولكن امرا عاجلا منعه من ان يصاحبهما في تلك الجولة . وكان "مات" هو الذي قام بذلك بدلا منه . ولم يكن خجولا ابدا مع "جون" ، ربما لان الأطفال لايمثلون إزعاجا له . واخذهما بعد ذلك للغداء في مطعم للوجبات السريعة، حيث تبارى مع "جون" في التهام الهامبورجر وشرب المرطبات . وقضى "جون" معه يوما رائعا، كما استمتعت "فرانسيسكا" بهذا اليوم لاقصى درجة ، فهي تحب دائما ان ترى ابنها سعيدا بهذه الصورة ، لقد كان "مات" رجلا لطيفا ، كان هذا رأي "جون" ، ورأيها هي ايضا .

وفي عصر ذلك اليوم ، تحدث معها "مات" كثيرا عن نفسه ، بصورة او باخرى تذكرت "فرانسيسكا" ذلك وهي تنظر في ساعتها بلهفة . ومن ذلك انه ذكر عرضا انه يخرج للمشي ليصفو ذهنه عند الرابعة في اغلب الايام ، حيث يتوقف لتناول الهامبورجر والمرطبات قبل ان يعود إلى عمله ، لعله يكون قد قال ذلك لأجل خاطر "جون" ، ولكن من المحتمل ان يكون صادقا في ذلك .

وكانت الساعة الرابعة إلا ربعا حينما انزلها التاكسي امام بناية الشركة .

واخذت تذرع الرصيف امام المبنى ، وتلقي النظر لساعتها بينما تراقب المدخل ، والوقت يمر دون اية بادرة لـ"مات" وتنبه لها مراقب البوابة في زيه الرسمي ، فاتجه إلى الباب الزجاجي يحملق فيها ، فانتقلت "فرانسيسكا" إلى الرصيف المقابل ، حيث وقفت امام واجهة زجاجية لاحد المحال ، تراقب صورة المبنى المنعكسة عليها ، وعاد المراقب إلى عمله ، ولمحته يحيي شخصا يخرج مندفعا إلى الشارع .

لقد كان "مات" فارع الطول ، يرتدي بدلة ذات لونين اخضر وكريمي ، وحذاء اخضر، وشعره البني يتطاير في غير تصفيف ، وجسده يهتز مع خطوات مشيته المدربة . وجرت "فرانسيسكا" وراءه وهتفت باسمه، فابطا في مشيته واستدار ليحملق فيها ، ثم توقف كالأموات .

"فرانسيسكا ؟ !" اتسعت عيناه البنيتان للغاية من الدهشة ، ولمحت

www.liilas.com ريما

النبذة على احد خديه ، وقد ذكر لـ"جون" انها بسبب قرد منزلي شقي .

لقد كان "مات" محبا للحيوانات ، حتى ما كان منها متقلب المزاج .

ولحقت به ، وابتسمت في تردد ، ثم اومات محيية : " هالو ، "مات".

وحملق فيها وهو يزيح شعره إلى الوراء من فوق وجهه العابس ، وسألها:

- " هل جئت لرؤية "اوليفر" إنه ليس هنا ، إنه في ... "

- "ويلز" ، اعرف . لقد كنت انتظرك انت ، وليس "اوليفر" .

- " تنتظرينني انا ؟ " كانت رنة عدم التصديق في صوته تبدو مضحكة ، فضحكت هي في تعاطف اكثر من البهجة ، لقد كان "مات" إنسانا يدعو إلى الحب فعلا ، وكانت تحب فيه ذلك الخجل . لقد كان اكثر إنسانية من "اوليفر" ، وكان طرازا من الاشخاص القرب لها ، فكلاهما اقل قدرة على مواجهة الحياة ، على عكس ما كان عليه "اوليفر" .

وردت قائلة :

- " نعم ، انت ، إنني محتاجة إلى الحديث معك ، ومحتاجة إلى معونتك" وشكل الاهتمام نظراته المتحيرة :

- " هل حدث شيء ما ؟ اهو "جون" ؟ هل هو مريض ؟ هل وقعت حادثة ما ؟ إنني اعرف كيف اتصل بـ"اوليفر" في حالات الطوارىء - هيا إلى الداخل ، إلى مكتبي ، وسوف ... "

وهزت رأسها وهو يشدها عائدا بها إلى الشركة :

- " كلا ، ليس "جون" ، وليس شيئا من هذا القبيل ، إنني اريد ان اتحدث إليك فقط يا"مات" . أيمكننا ان نذهب إلى مكان هادئ لايقاطعنا فيه احد ؟ "

- " مكتبي ؟ "

- " كلا . الم تذكر لي ان هنا محلا للهامبورجر تذهب إليه عصر كل يوم ؟ "

وبدت عليه الدهشة ، وقال :

- " هل قلت ذلك ؟ بالذاكرة القوية ، إن هذا صحيح ، هناك مكان

صغير على مسافة ثمانمائة متر من هنا ، احث إليه الخطا يوميا ذهابا وإيابا ، حيث اتوقف فيه لتناول وجبة خفيفة . ونادرا ما اتناول غداء حقيقيا إلا إذا اجبرني "اوليفر" على ذلك فهذا يستهلك من اليوم كثيرا ، ومن ثم احب ان اواصل العمل إلى العصر ، ثم اتوقف مدة ساعة ، اعود بعدها نشطا اواصل العمل اربع ساعات او خمسا "

- لقد كنت اتجول طول اليوم ، ومرهقة للغاية ، هل يمكنك ان تتخلى عن مشيتك السريعة اليوم ، وتسير على قدر خطاي إلى ذلك المكان ؟ هل تمانع في ذلك ؟ يمكنك ان تسرع خطاك وانت عائد إلى العمل ، بعد ان ننتهي من حديثنا".

- " موافق " . وسارا جنبا إلى جنب ، وشعرت ، به يرقبها ، منتظرا ان تبدا حديثها ، ولكن ذلك بدا اصعب بشكل ما مما تخيلت حينما وانتها الفكرة للوهلة الأولى ، إذ بدت لها عادية ، اما الآن ، فها هي ذي تشعر بالبرودة في قدميها

وتكلم "مات" بعد فترة الصمت :

- " امر سيء ، ذلك الانفجار في "ويلز" . ولم يعرف "اوليفر" بعد إن كان ذلك بسبب الإهمال او بسبب خطا في تصميم المعدات . فإذا كان الاحتمال الثاني ، فسنكون في مشكلة حقيقية . "

قالت :

- " لابد انه امر مثير للقلق " . ولم تتذكر إلا في هذه اللحظة انها على مدى الاربع والعشرين ساعة الاخيرة ، كانت منهمكة في التفكير في مشاكلها ومخاوفها ، ولم تفكر فيما كان يحل بـ"اوليفر" .

- " لم يقتل احد ، اليس كذلك ؟ "

- " لم يصب سوى اثنين بجروح ، حمدا لله . لقد كانت الحادثة اقل بكثير مما توقعناها في البداية . ولكن اية مشكلة متعلقة بالمعدات الإلكترونية يمكن ان تكون ذات اثر مدمر لنا ، بما تسببه من دعاية سيئة "

- " ولهذا سافر "اوليفر" إلى "ويلز" على الفور " وتقبلت "فرنسيسكا" هذه الحقيقة وهي تنطق بها دون انفعال .

www.liilas.com ريما

- " بالضبط " وتمهلا لرؤيتهما لافتة المطعم الذي كان خاليا تقريبا .

وابتسم "مات" ابتسامة طفولية : " إني اتضور جوعا . إنني لا اشعر بالجوع بتاتا إلا حينما اصل إلى هنا ، حيث تبدأ معدتي في الصراخ طلبا للطعام ، ربما يكون رد فعل "بافلوف" . وماذا عنك ؟ هل تناولت طعاما اليوم ؟ "

- " نعم ، ولكني سأتناول فنجانا من القهوة معك " .

- " حسنا ، اجلسي إلى المائدة إلى ان احضر الطعام لك قطعة من الجاتوه او فطيرة ساخنة من التفاح " وشكرته وانتقت مائدة في ركن هادىء جلست إليها . ورافقها "مات" بعد لحظة حاملا صينية عليها الطعام : هامبورجر ، وبطاطس مقلية ، وعصير الفراولة ، والقهوة . وجلس وتاول "فرنسيسكا" قدح القهوة ، ثم بدأ ياكل بنهم . واخذت هي تقلب الكريمة في القهوة منتظرة إلى ان يهدأ من جوعه بعض الشيء . لاعجب في ان يكون على هذا القدر من النحافة. بارز عظام الوجنتين . فمن الواضح انه لايتناول القدر الكافي من الطعام . واخبرته بهذه الحقيقة في تانيب ، فعبس لها .

- " لاتبدئي هذا الحديث ، فـ"اوليفر" لايفتا يغيظني حول اسلوبي في التغذية. ولكن ذلك ليس ما اردتني من اجله ، فلا اظن ان "اوليفر" قد ارسلك لتلحي على ان اتناول طعاما في اوقات منتظمة " .

قرنت بخشونة :

- " كلا " .

وانتهى من قطعة الهامبورجر ، ثم مسح اصابعه في المنشفة الورقية ، ونظر إليها بتمعن .

- " ما الخطب يا"فران" ؟ انا اعلم ان هناك امرا ما ، يمكنني ان ارى ذلك على محياك ، فانت شاحبة ، وتبدين ابعد ما تكونين عن السعادة " ثم خفض ناظريه ، تنحنح ، مواصلا دعك اصابعه في المنشفة الورقية رغم انها اصبحت نظيفة ، ثم تمتم في صوت خفيض جعلها تتاثر :

- " إذا اردت اي مساعدة فاطلبيها على الفور ، فانت تعلمين انني لا اتاخر عن ان افعل اي شيء من اجلك "

قالت وهي تغضي ببصرها :

- " شكرا يا"مات" ، إنني محتاجة إلى معاونتك ، إني اريد الحصول على عمل "

وشخص ببصره فيها محملقا ، وقد اذهلته المفاجاة :

- " عمل ؟ "

واستطردت :

- " في الشركة " واخذ "مات" يشهق شهيقا بصوت عال .

ثم قال بعد فترة من الصمت :

- " لست بفاهم . ولماذا تطلبين ذلك مني ! لماذا لم تسالي "اوليفر" ؟ "

ورفعت بصرها فتلاقت اعينهما ، وعبس "مات" قائلا :

- " او لعلك فعلت ذلك . فهل رفض هو ؟ اهذا ما حدث ؟ إني اسف يا"فران" يجب ان تدركي انه لايمكنني التدخل بينك وبين "اوليفر" .

- " إنني لم انبس بكلمة عن ذلك لـ"اوليفر" . إنني اعلم كم انت وفي له يا"مات" ، وانكما صديقان حميمان منذ زمن طويل "

- " منذ كنا في العاشرة من عمرنا " قال ذلك ، كما لو كانت لاتعلم هي .

- " اعلم ، واعلم لذلك انك لن تخبرني لو كان على علاقة باخرى " .

ونظرت إليه بإمعان ، لترى اثر الصدمة على وجهه ، والاحمرار يتصاعد إلى وجنتيه .

ولم يرد هذه المرة ، بل اخذ يحملق فيها وقد تقلص فمه ، وكان صمته إجابة شافية ، وبدا على عيني "فرانسيسكا" ماتحس من مرارة ، فاشاحت ببصرها ، ترمش لتعيق العبرات التي بدات تتجمع تحت الجفنين ، فسيستاء "مات" لو احس انها تبكي ، وهو مستاء الآن بالفعل ، ومتصلب لفرط حرجه وشعوره بالاسى .

وقالت ترفع عنه الحرج :

- " إني لن اسالك شيئا من هذا القبيل يا"مات" . ولكن ، هل ستعطيني عملا؟ إنه لا يمكنني ان اظل دقيقة واحدة في "سسكس" وحيدة ، فسيدفعني ذلك إلى الجنون . إنني افتقد "جون" بشدة ، واعمال البيت تسير كالساعة ، ولم يعد هناك احتياج لي ، اللهم ايام العطلات حينما يعود "جون" . ولو كان بمقدوري إنجاب طفل آخر

لتغير الامر ، ولكن ذلك لم يعد ممكنا ، واصبحت اشعر بالملل والتعاسة . لقد تزوجت في سن صغيرة على مايبدو ، وفقدت الكثير مما يجب علي ان احصله الآن ، ان اعمل في لندن ، ويكون لي فيها سكن ، واقابل الناس..."

وانفجر صائحا ، ذاهلا :

- "وماذا عن "اوليفر" ؟"

- "اوليفر".

واشاحت ببصرها إلى الشارع المزدحم ، ترنو للفضاء البعيد بعينيها الزرقاوين الداكنتين ، تحاول كبح كل علامات الالم ، وقالت بهدوء :

- "لقد هجرت "اوليفر" ، ولن اعود إليه ثانية".

www.liilas.com ريما

الفصل الثاني

قضت "فرانسيسكا" اليوم التالي في البحث في ارجاء المدينة عن شقة غير مؤثثة ، حتى وقع اختيارها على واحدة في منزل على الطراز الفيكتوري في "فينشلي" ، وهي ضاحية قرب غابات هامبستد . وكانت شقة ذات حجرتين ، حجرة نوم ملحق بها الحمام ، وحجرة للمعيشة تضم في جانب منها جزءا للمطبخ ومكانا لتناول الطعام . وبدت الشقة غاية في الضالة . بعد المعيشة في المنزل الرحب في "لامبورن" ، ولكنها سكنت في اماكن اشد ضيقا في الماضي، وكانت واثقة من انها ستعتاد على المعيشة في هذا المكان .

وكان هناك محل للعاديات على قارعة الطريق ، ولمحت فيه وهي عائدة إلى الفندق كرسيا من نوع الشيزلونج من الطراز الفيكتوري فشد انتباهها ، فتوقفت بسيارتها على الفور وعادت إلى المحل وصاحبه اوشك ان يغلقه . وقبل صاحب المحل بكل ترحاب ان يظل فاتحا محله إلى ان عاينت الكرسي المكسو بالمخمل الاحمر . ثم اشترته مع بعض

من القطع الأخرى التي شعرت انها متوائمة ، مع خزانة جانبية من خشب البلوط من الطراز الفيكتوري ، ومائدة مستديرة من نفس الخشب الذهبي ونفس الحقبة الزمنية ، وسجادة حائلة الألوان قديمة بعض الشيء .

وسألت صاحب المحل وهي تبرز له بطاقة الائتمان :

- " هل ترسل لي المشتريات إلى سكني غدا ؟ " فنظر إليها بشيء من الشك ثم هرش رأسه قائلا :

- " هذا يعتمد عل مكان إقامتك " . فردت عليه مبتسمة :

- " على بعد عشرة أبواب من المحل " . فتبسم وهو يأخذ قسيمة الدفع التي وقعت له عليها وقال :

- " في هذه الحالة . بكل تاكيد " .

- " الخامسة بعد الظهر إذن ، فلدي عمل كثير اثناء النهار " .

ولمحت وهي خارجة كرسياً آخر من طراز مختلف ، ولكنها قدرت انها قد اشترت مافيه الكفاية من الأثاث لغرفة المعيشة ، فكلما قل عدد قطع الأثاث ، بدا المكان ارحب . ولمح صاحب المحل ذلك في عينيها فقال :

- " يمكنك ان تشتريه بنصف الثمن " وأخذ يعدد لها مزاياه ويبتسم لرؤية الصراع في محياها ، وأخيرا قالت مستسلمة :

- " حسنا ، ساكتب لك شيكا بثمنه " فقال :

- " بل يمكنك الدفع حينما يصل إلى مسكنك " ولوح لها مودعا ، وأغلق محله .

كان لديها موعد مع إدارة شؤون الافراد بالشركة في ذلك الصباح ، أخذه لها "مات" ، الذي يكون في منتهى الكفاءة إذا عزم على امرما واستخدمت "فرانسيسكا" اسمها قبل الزواج واعطت عنوان سكنها الجديد ، وواضح ان "مات" قد اصدر تعليماته إلى مديرة شؤون الافراد الا تكون متطفلة ، ورغم علمها بان "فرانسيسكا" زوجة "اوليفر" ، فإن هذه الحقيقة لم تذكر البتة ، ولم تبد المراة اي قدر من الفضول ، ولم تحملق او تبد اي اهتمام للامر . واعطتها "فرانسيسكا" درجة عالية عن حسن إدراكها ومقدرتها الوظيفية .

وناولتها الانسة "ديلني" نموذجا تملؤه وقالت :

- " إننا محتاجون إلى ثلاثة ممن يمكن الرجوع إليهم ، طبقا لما جرى عليه العمل في الشركة ، حتى نطمئن إلى من نقوم بتشغيله " .

واعطتها "فرانسيسكا" ثلاثة مراجع لها ، "مات" ، ووالد زوجها ، ومحام في "سسكس" . واستمعت بعناية إلى الآنسة "ديلني" وهي تشرح لها بنود العقد الذي قدمته إليها للتوقيع عليه وامورا اخرى مثل الضرائب والتامينات وغيرها من الأمور التي بدت جديدة تماما بالنسبة لها .

إن الحياة تبدو أكثر تعقيدا مما اعتقدت . وقد رمت بنفسها في خضمها دون تفكير، او اي تقدير للعواقب ، ولكنها لاتفتا تشعر بانها اتخذت الخطوة الصحيحة .

لقد كان البديل ان تظل عاما بعد الآخر هناك في "سسكس" ، تزداد ابتعادا عن "اوليفر" دون ان تدري ما الذي يجري لهما ، وتنغمس أكثر وأكثر في الوحدة والشقاء ، ويعلم الله وحده ماذا يمكن ان تصير إليه العاقبة ، اهو الطلاق ؟ نعم، ذلك هو الأرجح .

لقد كان بإمكانها ان تتحدث مع "اوليفر" ، ولكن ما الجدوى ؟ فهو لم يكن ليغير من طريقة حياته او عمله ، فهو تحت سيطرة دائمة للرغبة في بناء الشركة. لعله كان سيحاول تهدئتها ، او ان يشعر بالضيق لما تثيره من مشاكل ، وكان سيقفز إلى نتيجة كل فحواها انها مجرد غاضبة لانه لم يحضر عيد زواجهما ، وسيظل يشرح لها نافد الصبر ملابسات سفره إلى "ويلز" ، وحتى لو اخبرته بانها متفهمة لذلك ، وان عدم حضوره ليس اساس الموضوع ، بل مجرد الزناد الذي فجر المشكلة الاصلية ، فإن "اوليفر" لم يكن ليفهمها او ان ياخذها تقوله ماخذ الجد .

وهو لم ياخذها ماخذ الجد على مدى السنوات ، فهي قد دخلت ضمن ديكور حياته ، شانها في ذلك شان منزل "لامبورن" ، و"جون" وحتى والده . اما الأمور الاساسية في حياته فكانت هنا ، في لندن ، حيث يعيش . اما منزلهما في "سسكس" فكان مكانا يزوره ، وهي "وجون" قوم بزورهم ، كانا شيئا هامشيا في حياته . اما عالم الأعمال الذي ينتمي إليه "مات" والآنسة "سيلفستر" ، فكان العالم الذي يجد فيه نفسه ، تلك النفس التي لم تكن "فرانسيسكا" تعلم عنها شيئا . لقد

كانت تعيش في جنة من الوهم ، في ذكرى الرجل الذي تزوجته منذ عشرة اعوام تحبه حبا اعمى وتعتقد بكل سلامة طوية إنه هو نفسه "اوليفر رانسوم" الحالي ، ولكنه لم يكن .

لقد ولى "اوليفر" الحبيب إلى غير رجعة ، وهذا ما اكتشفته اخيرا ، وهذا هو سبب وجودها الآن في لندن ، فليس بمقدورها أن تواصل ذلك الزواج المزيف اكثر من ذلك .

وتناولت الغداء مع "مات" ، ليس في مطعم الماكولات السريعة ، بل في مطعم فرنسي راق يطل على حديقة "كوفنت" . وكان "مات" يرتدي حلة داكنة فخمة ، وشعره البني لامع ومصفف بعناية ، ولكن لايبدو عليه الارتياح في هذه الملابس الانيقة ، واستمر يعبث بربطه عنقه ، ويتململ في كرسيه ، ولا تكاد عيناهما تتقابلان .

قالت له وهي تبتسم لما هو فيه من ضيق :

- " إنك تبدو انيقا اليوم يا"مات" . لقد كان "مات" شخصا رقيقا بالفعل ، وكانت قد قررت أن تكون مرحة هذا اليوم ، فقد قضت على مافيه الكفاية من الملل ، وستستمر في خطتها لإمتاع حياتها . وسألته بقصد المداعبة :

- " اهذه الحلة على شرفي ، إنني في غاية التاثر " .

كاد يقلب إناء المحار على نفسه من فرط الارتباك ، ومدت يدها عبر المائدة تربت على يده :

- " إنني أريد أن اعبر عن امتناني فقط يا"مات" ، فانا مقدرة كل مافعلته من اجلي . إنك الشخص الوحيد الذي فكرت أن اطلب معونته .

اليس هذا اعترافا له قيمته أن تكون الصديق الحقيقي لي الذي اشارك زوجي فيه ! اتمنى الا اسبب لك مشاكل مع "اوليفر" ، على اية حال ، لاتصطدم به ، دعني اتحمل الوزر كله يا"مات" . فنظر إليها بوجوم ثم رد قائلا :

- " ساحاول الا يحدث ذلك " . وبدا انه غير متفائل لسير الامور .

- " هل سمعت شيئا عنه اليوم ؟ " كانت تتساءل في نفسها إذا كان "اوليفر" قد علم بانها غير موجودة في "لامبورن" - ام تراه كان مشغولا لدرجة انه لم يتمكن من طلبها ؟ وكانت قد تركت جهاز الهاتف محولا

إلى آلة الرد على المكالمات ، ولعل الآنسة "سيلفستر" تكون قد سجلت عليها بعضا من رسائلها المعسولة ، ومالم تكن مسز " هاين" قد فصلت الآلة اوربت بنفسها على الهاتف، فاغلب الظن الا يكون "اوليفر" قد عرف انها غادرت المنزل .

واوما "مات" برأسه قائلا :

- " لقد حادثته مدة نصف ساعة هذا الصباح " .

- " إنه لايزال في "ويلز" إذن " .

- " إنه مشغول بصورة رهيبة يا"فران" ، يحلل ما حدث ويفكر فيما يجب عليه عمله ، وقد طلب مني ان اطلبك إذا كان لدي وقت لذلك ، وان اطمئن عليك " .

- " ولم تخبره انني في لندن " .

هز "مات" رأسه :

- " لقد قلت إنك لاتودين ان يعرف ذلك الآن " .

وابتسمت له شاكرة :

- " نعم ، شكرا لك ، ثم خفضت بصرها إلى طبقها وقالت :

- " وليست لديه فكرة انني غادرت المنزل ؟ " وعبس "مات" قائلا :

- " لا اعتقد ، وإلا لبدا عليه التغير . إن كل ما قاله انه لم يتمكن من الاتصال بك ، وليس لديه وقت لاستمرار المحاولة ، وان احاول أن اتصل بك ، وكان اغلب الحديث عن الانفجار . إنه امر مقلق للغاية يا"فران" ، إن القلق سيقتل "اوليفر" ، حاولي أن تفهمي ذلك ... "

فربت متنهدة :

- " إنني متفهمة " واقبل النادل يضع امامهما مزيجا من الخضراوات الطازجة ، واستطردت هي :

- " الا ترى ان الطعام هنا لذيذ جدا ، هل تاتي إلى هنا كثيرا يا"مات" ؟ إنني لم احضر إلى حديقة "كوفنت" منذ سنوات ، ولا اكاد اتذكر المكان، إنه غاية في الروعة ، اليس كذلك ؟ "

اخذت الدهشة "مات" باديء الأمر لهذا التغير المفاجئ في مجرى الحديث ، ثم تنبه إلى انها تفعل ذلك لوجود النادل ، فغمغم شيئا عن حبه لحديقة "كوفنت" والجو المحيط بها والمحلات الموجودة ، ووافقته

"فرانسيسكا" :

- " نعم ، إلا انه لا وقت عندي للتجوال لمشاهدة البوتيكات ، فعلي ان اشتري كثيرا من الاشياء في اليومين التاليين ، لتاثيث شقتي - لقد اشتريت بعض العاديات ، وسيحضرونها إلى المسكن اليوم - ولكني لازال محتاجة إلى الكثير من الاشياء ، من مصابيح للإضاءة إلى مفارش الشاي ، إذ لم احضر اي شيء من "لامبورن" ، وساشتري لنفسي كل ما يلزمني هنا ، وامل ان اقنع التاجر الذي اشتريت منه العاديات ان يرتبها لي في السكن على الصورة التي اريدها، فهو يبدو انه دمث الخلق ، ، واعتقد ان الحظ حالفني "

ورد "مات" عابسا :

- " ذلك طالما لم يعتقد هو في نفسه نفس الشيء ، من الافضل ان اكون معك حين تصل هذه الاشياء ، فوجود رجل معك سيثير في نفسه الذعر إذا كان قد وضع في فكره انك امراة تعيشين بمفردك ، إن لندن تختلف عن الريف يا "فران" ، كما تعلمين ، ويجب عليك توخي الحرص ، لا اريد ان اسبب لك الرعب ، ولكن امراة تعيش بمفردها يمكن ان تكون هدفا للطامعين ، هل لديك سلسلة لإحكام غلق الباب ؟ إذا لم يكن الامر كذلك ، فساتدبر ذلك الليلة ، بل وساقوم بجولة في المكان لتقصي احتياطات الامان "

وردت عليه وقد بدات الهواجس تنتابها :

- " إنك بعيد النظر " ، لقد تمنت الا يكون قد قال ما قال ، إذ سيسبب لها هذا القلق حينما تصير بمفردها في الليل بعد انتقالها إلى شقتها ، فهي لم تقدر مخاطر معيشة امراة بمفردها في لندن إلى هذه اللحظة ، ورغم ذلك فقد شكرته قائلة :

- " شكرا لك يا "مات" ، إنك إنسان طيب حقا "

مدركة انه قال ذلك بصدق نية ، واستطردت :

- " وإذا كان لديك وقت ، فارجو ان تحضر ، بل إنني قد اعد عشاء لنا ، وجبة سريعة حيث لا استعداد لدي بعد لتجهيز وجبة عشاء كاملة ، ولكن يمكنني ان اجهز شيئا من الإسباجتي مع صلصة خفيفة من الطماطم ، او بعضا من الشطائر مع القهوة .. ماذا تفضل انت ؟ "

ورد قائلا :

- " الشطائر ستكون افضل " وضحكت ثم رسمت على وجهها غضبة مزيفة وقالت :

- " ارى انك لا تثق في كطاهية " ، فرد عليها فزعا :

- " كلا ، لم اقصد ذلك ، إنني معجب بطهوك دائما ، ولكني لا اريد ان اسبب لك إزعاجا ، ولماذا لا احضر انا الشطائر ، فهناك محل كبير لبيع الوجبات السريعة بجوار المكتب ، وساشتري منه بعضا من الشطائر وانا في طريقي إليك "

- " كلا ، لا تفعل ذلك ، إنني صاحبة الدعوة ، هل هناك شيء معين لاتفضله ام انتقي انا تشكيلة تختار منها ماتحب ؟ " قال :"اي شيء"

قالت تقصد إغاظته :

- " عدا الإسباجتي الذي اطهوه انا ؟ "

- " ارى انك لن تغفري لي ذلك "

واسرع "مات" عائدا إلى مكتبه ، واخذت هي جولة في الشوارع الضيقة المحيطة بسوق حديقة "كوفنت" القديم ، ووجدت بعض المشتريات باسعار مغرية، ومن ثم فلم تاخذ مترو الانفاق في عودتها كما كانت مقدرة ، بل استاجرت سيارة اجرة كلفتها كثيرا ، ولكن مقابل كثير من الراحة ومع ذلك ، فعليها ان تحافظ على كل بنس من الآن ، وعليها ان تباعد من استخدامها لسيارات الاجرة ، فقد قررت ان تعيش على ماتكسبه ، والا تاخذ من "اوليفر" شيئا ، من الآن فصاعدا ، ستكون مستقلة ، وتتعلم ان تقف على قدميها هي ، ويعني ذلك سياسة اقتصادية صارمة ، ولدهشتها وجدت نفسها متحمسة لهذه الفكرة ، في بداية زواجهما كانا يفكران اكثر من مرة قبل إنفاق بنس واحد ، وكم كان هذا ممتعا ، خصوصا حينما كانت تشارك "اوليفر" في كل شيء ، في البيت وفي العمل ، في تلك الايام ، كان لكل شيء متعة خاصة ، وكانت حياتها سعادة لاتشوبها شائبة ، وهي متاكدة ان "اوليفر" كان كذلك ايضا

وانتظارا لمقدم الاثاث ، ارتدت بنطلونا قديما من الجينز و"سويتر" ازرق وبدات تمسح الشقة ، وتذكرها ذلك ايضا بايامها الاولى ، حينما

كانت تقوم بكل اعمال المنزل . إلا انه بمجرد ان اصبح متاحا لهما ، اصر "اوليفر" على ان تكون لها مساعدة في أعمال المنزل ، بل اراد ان يستاجر مربية لـ"جون" ايضا، ولكنها قاومت ذلك . كانت تحب ان تعتني هي بوليدها ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فقد بات ذلك العمل الوحيد الذي يشغلها فـ "اوليفر" لم يكن ليسمح لها ان تلتحق بالعمل بالشركة ، ولا ان تقوم باعمال المنزل ، فلا عجب ان اصبح "جون" شغلها الوحيد الذي يملأ عليها وقتها !

وانهمكت في العمل حتى تنتهي منه قبل وصول الاثاث ، وسرعان ماتورد وجهها وانتسخ إلى حد ما ، وتبعثر شعرها عن تسريحة "الشنيون" المتقنة ، وانسدلت منه خصلات ملتوية على خديها ، ولكنها لم تعبأ بذلك في ذاته الوقت فـ"مات" ، لن يلاحظ - فهو لايبدو عليه انه يلتفت إلى مثل هذه الأمور أو حتى يراها ، لفرط انهماكه فيما يفكر فيه ، اما بالنسبة لصاحب المحل ، فهو لايعنيها في شيء .

ودق جرس الباب ، وهرعت ترد عليه وهي تمسح يديها في منشفة متوقعة انه صاحب المحل ، رغم ان الساعة لم تكن قد وصلت الرابعة بعد ، ودهشت لرؤية "مات" ، وبادرته مبتسمة :

- " اهلا "مات" ، اهكذا مبكرا ! لقد اعتقدت انك تاجر الاثاث ، تفضل بالدخول " .

ولكنه لم يدخل ، بل ظل واقفا يحملق فيها كما لو كان لايصدق ناظريه ، وادركت "فرنسيسكا" انها كانت مخطئة حينما افترضت انه لن يلاحظ هيئتها ، فابتسمت معتذرة وقالت :

- " آسفة لمنظري ، ولكني كنت اقوم ببعض أعمال التنظيف . اتريد قدحا من الشاي ؟ لقد انتهيت لتوي واوشكت ان اضع براد الشاي على النار . لن يمكنني ان اسالك الجلوس إلى ان يصل الاثاث ، ولكن الفرن يعمل على الاقل "

ورد عليها بصوت اجش :

- " إنك تبدين رائعة " وخفض ناظريه ، وهو يمد يده التي كانت وراء ظهره إليها ، وكانت ممسكة بباقة كبيرة من ازهار الاقحوان انتشر عبيرها في المكان .

- " آه ، شكرا لك . يالك من إنسان لاينسى شيئا يا"مات" ، إن الازهار تجعل المكان اكثر الفة للمرء ، اليس كذلك ؟ بلى ، وانا احب الاقحوان ، خاصة هذا اللون " . ورفعت الازهار الذهبية إلى انفها تستنشق عبيرها ، وتنهدت وقد انتابها شعور لا إرادي بالحنين ، وقالت :

- " بالرائحة الذكية ! ساضعها في الماء على الفور . ليس عندي زهرية بعد، ولكني اشتريت إناء فخاريا من حديقة "كوفنت" وسيكون مناسبا تماما " وابتسمت لـ"مات" وهي تتقدمه إلى داخل الشقة ، وقالت :

- " سيكون علينا ان نشرب اللبن من علبته الكرتون مباشرة " وتبعها "مات" إلى داخل الشقة ، واخذ يحملق حوله كالماخوذ ، بينما هي تملأ الإناء الاخضر بالماء وتنسق الازهار فيه .

- " فران" ، إن هذا المكان اسوأ مما كنت اتوقع ، ليس بإمكانك المعيشة هنا ! لايوجد مكان كاف حتى لارجحة قطة " .

- " ليس لدي قطة ، وحتى لو كان لدي ، فلن اقوم بارجحتها ، فهذه قسوة من وجهة نظري " . وابتسمت وهي تدير وجهها إليه وقالت :

- " اليست الازهار رائعة في الإناء ؟ " ووضعته على عتبة النافذة ، حيث اضاءت اشعة شمس المغيب الاوراق والبراعم بلون رائع الجمال . ونظر "مات" و"فرنسيسكا" إليها ماخوذين ، ثم استدارت "فرنسيسكا" قائلة :

- " حسنا ، ماذا عن الشاي ؟ اتمانع في ان تشربه في قدح فخاري ؟ فإني مازلت في عملية تاثيث مسكني ، وقد اشتريت من "كوفنت جاردن"، ضمن ماشتريت ، طاقم اوان فخارية من ست قطع ، معتقدة انها افضل من الاقداح والأطباق في الوقت الراهن ، كما اشتريت ايضا ستة من الأطباق الفخارية من محل للادوات المستعملة ، تركوني اخذها بخمسة جنيهات مقابل نصف الدستة، في الواقع ان اغلبها بها شروخ في غاية الدقة ، ولكنها جميعا في حالة ممتازة ، وسررت جدا بشرائها " . وكانت تتكلم في سرعة وإسهاب ، لانها قامت بخطوة كبيرة ، وكانت تشعر إزاءها بالانفعال ، حتى مع اعتقادها الراسخ بانها الخطوة الصحيحة .

وانفجر "مات":

- " إن هذا لايعجبني يا "فران" ، إنك لاتنتمين إلى مكان كهذا ، إن "لامبورن" هو المكان اللائق بك ، وهو الذي إليه تنتمين ".

وغمرت مسحة من الغضب وجهها ، وبرقت عيناها الزرقاوان له ، لقد كانت غير واثقة من نفسها لثانية مضت ، ولكن إصرارها الآن قد ازداد صلابة ، ورفعت ذقنها :

- " إنني إنسانة ، ولست شيئا ، ولا انتمي إلا لنفسي ، ولا ارغب في المعيشة في "لامبورن" بعد الآن ، ولا المعيشة مع "اوليفر" ورد عليها وهو يتململ :

- " انظري يا "فران" ، اعلم انه ليس من شاني .. " فربت عليه مقاطعة

- " نعم ، إنه ليس من شانك ، إنها حياتي انا يا "مات" .. فمن فضلك لاتقل شيئا آخر " وزادت ملامح التعاسة على وجهه :

- " يجب علي ذلك ! إن "اوليفر" اقدم صديق لي ، وإني مهتم بك إلى اقصى حد يا "فرانسيسكا" ، ولا استطيع ان اتوقف عن التفكير في انك ترتكبين غلطة شنيعة بتركك لـ"اوليفر" . إنك لن تكوني سعيدة بالمعيشة بمفردك ، وفي مدينة . إنك سيدة ريفية ، وهو ماتخيلتك فيه دائما - في حديقة "لامبورن" ، بين الأزهار في أيام الصيف الحارة ، وبينما انا اعمل والجو في المدينة رطب ولزج. كنت دائما اتصورك وانت تقطفين الأزهار ، وتتجولين بين تلك المشايات الرائعة وعلى راسك قبعة عريضة من القش ، والسلة معلقة في ذراعك . إنني لم ارك تعملين في الحديقة سوي مرات معدودة ، ولكن صورتك تلك علقت في ذهني ، وكم اكره ان اتخيلك تعيشين في علبة ضيقة تسمى شقة في لندن ".

واتسعت عينا "فرانسيسكا" في دهشة ، إن هذا الانفجار ليس لـ"مات" ! إنها لاتكاد تصدق انه قال ذلك ، من خلال وجهه المتورد وجفنيه المغضبين ، إن "مات" لايمكنه ان يفعل ذلك ! ولكنه كان لايزال مندفعا في حديثه ، حتى دون ان يرفع ناظريه فيها :

- " إن المدينة ستكون خطا محضا لك . إنك غير معتادة على هذه المعيشة على الإطلاق ، وستشعرين بالتعاسة في هذه الشقة الموحشة

الضيقة " .

ورن جرس الباب ، واسرعت فرنسيسكاتجيبه ، شاكرة لهذه المقاطعة . وكان بائع الاثاث هذه المرة . وعاونه "مات" في نقل الكرسي الشيزلونج والخزانة والمنضدة إلى الدور الثاني ثم عاد البائع منفردا بالكرسي الأخير ، وحينما عاد، اهدى إلى "فرنسيسكا" اباجورة من الزجاج الكهربائي يعلوها التراب ، ذات حامل كان يضعه فوق كرسي من النحاس الأصفر . قفزت لها "فرانسيسكا" من المفاجاة والفرحة ، لقد كانت الاباجورة متوائمة مع المكان مواءمة رائعة .

واخبرها البائع في مرح :

- " كانت ستكون اكثر قيمة لو لم تكن قد كسرت واعيد إصلاحها ، وبحالتها هذه ، سالقيها هنا مع بقية القطع . ثم تلفت حوله وقال :

- " إن الاثاث يبدو وكانه طاقم واحد بالفعل ! اتمنى ان تكونوا سعداء في مسكنكما الجديد . لاتنقطعا عن زيارة المحل فلدي دائما ما هو جديد ، وسيسعدني ان اتنبه لاي شيء يتسق مع هذا المكان " .

وبمجرد ان ذهب ، اتجهت إلى حجرة النوم حيث بدلت ملابسها ، ثم وضعت العشاء على المائدة ، ولم تكن قد احضرت شطائر ، بل اشترت خبزا فرنسيا وبعض انواع الجبن . ويبدا ان العشاء قد راق "مات" .

وقال لها مبتسما وهو يرجع بظهره في كرسيه الذي على هيئة السلة ، ويمد ساقيه على اخرهما :

- " لقد كانت فكرة رائعة ، هذا الخبز والجبن ، إن "اوليفر" لاحمق ، ان يغامر بان يفقدك .. " ثم توقف فجاة ، وعبس وقد اندفع الدم إلى وجهه ، وغمغم :

- " إني اسف " فربت عليه :

- " لا تكن احمق ، لقد كانت مجاملة لطيفة " وكانا يتحاشيان معا ان يذكر اسم "اوليفر" ، مع ما يسببه ذلك من حرج لكليهما . وسالته لتغير الموضوع :

- " حدثني عن وظيفتي "

- " اه ، حسنا ، إن "اوليفر .." وتوقف مرة اخرى ، واشاح بوجهه

قائلا :

- " لا يمكنني ان اتكلم دون ذكر الاسم ليس كذلك ؟ " بلى فوافقته بجفاء قائلة :

- " إنه مهم لكلينا " . وكانت تخمن ما سيقول . لقد ذكر "اوليفر" مرارا ان "مات" كان يرفض بعناد ان تكون له سكرتيرته الشخصية ، كان ينزع إلى السرية بدرجة كبيرة ، خشية ان يسرق منه احد اختراعا له ويبيعه إلى شركة منافسة . وكان يستعير خدمات سكرتيرة اي زميل له حينما توجد ضرورة لذلك .

ولعلم "فرنسيسكا" بوجهة نظره تلك ، اتصلت به لتسأله عملا ، فهي تعلم ان هذه الوظيفة لها ، لو استطاعت ان تقنعه ان يمنحها إياها ، وهي متأكدة من انه يثق بها تماما . فهو يعرفها طوال مدة معرفة "اوليفر" بها تقريبا ، ويعلم انها لن تفشي اسرار الشركة إلى احد ، وكان قلقها منصبا على "مات" فقط هل كان يثق في قدرتها على اداء العمل .

فمضغت :

- " الفضل لـ"جون" في معرفتي بمنتجات الشركة من الحاسبات الآلية ، فعرفته مكتظة ، باحدث ماتنتجه الشركة ، وظلت طوال السنوات الماضية التقط منه المعلومات".

- " لست ادري حقيقة ماستكون عليه طبيعة عملك ، عدا انك ستحملين عني عبء بعض الاعمال الروتينية ، كالاعمال الكتابية ، فانا لم يكن لي سكرتيرة من قبل "فردت عليه وهي تتكوم على الشيزلونج وتتثاءب .

- " سنضع نظاما للعمل معا " . لقد كانت مرهقة ، فقد كان يوما شاقا وراقبها "مات" مبتسما ، وقال :

- " إنك تبدين رائعة فوق هذا الشيء " فردت :

- " إنه مخصص للأوقات الرائعة " . وكانت واعية لسقوط المزيد من دبابيس الشعر من تسريحة "الشينون" وانسدال المزيد من خصلات الشعر على ظهرها ، ولكنها لم تكن لتهتم بان تصففه مرة اخرى هذه الليلة ، فهما سيغادران السكن إلى الفندق بعد لحظات ، وقد وعدها

"مات" ان يوصلها إليه وهو في طريقه إلى سكنه . وسألته :

- " اتريد مزيدا من القهوة ؟ " فهز راسه نفيا .

- " سوف اعاونك في غسل هذه الأشياء قبل رحيلنا " .

ورن جرس الباب ، وحملق فيها "مات" قائلا :

- " انتوقعين احدا ؟ " فهزت راسها متحيرة ، ثم قالت :

- " ربما جار يسأل بعضا من السكر " فقال وهو يعبس متجها إلى الباب :

- " او بائع الاثاث يتمنى ان يجدك بمفردك ، ولو كان الامر كذلك ، فساطرده شر طرده " . وفتح الباب مقطبا جبينه ، وسرعان ماتراجع إلى الغرفة ، واخذت "فرنسيسكا" تراقبه في دهشة فزعة ، وتطلب الامر لحظات حتى تدرك من الذي وصل .

كانت عيناها تواجهان عينين عسليتين باردتين كالثلج ، وهي لاتزال راقدة على الشيزلونج المخملي ، وشعرها الاصفر منسدل يحيط بوجهها ، وجو الالفة يملأ المكان : بقايا العشاء ، الشمعتان الحمراوان، زجاجة النبيذ الفارغة ، جاكتة "مات"الملقاة على الكرسي في عفوية ، ورابطة عنقه المفكوكة ، وياقة قميصه المفتوحة ، إضافة إلى القفطان الهفهاف الذي كانت ترتديه .

- " يقولون :إن الزوج اخر من يعلم " اخرجها "اوليفر" من بين اسنانه، بينما اخذ الفزع بـ"مات" ، الذي اصفر وجهه ثم استحال احمر داكنا .

- " لقد فهمت الامر خطا يا"اوليفر" ، ليس كما تظن ، لقد كنا نوشك ان ننصرف ، القصد لم يحدث شيء البتة ، لقد كنت اساعد "فران" على الانتقال إلى هنا ... "

- " لاتكذب على ايها الوغد " صرخ "اوليفر" هذه العبارة واندفع تجاه "مات" الذي لم يكن لديه الوقت ليتفاداه ، ووجه إليه ضربة قبل ان يدرك هو ما الذي سيحدث له ، وترنح "مات"إلى الوراء ثم جلس على الأرض يهز راسه ويبدو عليه الدوار .

هبت "فرانسيسكا" وهي تنتفض ، تحاول ان تخفي رعبها لرؤية "اوليفر" بالصياح في وجهه :

بل مجرد صديقين "

ورد "اوليفر" ساخرا وعيناه تشعان بالازدراء :

- " اتظنين انني غبي لاصدق ذلك " . وتقدم نحوها ، فتلاحقت انفاسها وهي تتوقع الشر ، ولكنها ردت وهي تنتفض :

- " إنها الحقيقة ، لقد كان "مات" يساعدني على الانتقال إلى مسكني الجديد ... "

وصرخ "اوليفر" مقاطعا :

- " مسكنك الجديد ! " ثم جال ببصره في المكان وحاجياه مقطبان - من فرط الازدراء ، واستطرد :

- " ومن يدفع الإيجار ياترى ! أهو بالصدفة نفس الشخص الذي يساعدك على الانتقال "

اصفر وجهها وهزت راسها في غضب :

- " لاتكن احمق ! إنني التي ستدفع " وعاود استهزاءه :

- " من مرتب الوظيفة التي اخترعت لك على ما اظن "

- " من المال الذي ساكسبه ، نعم ، و"مات" لم يخترع الوظيفة ، فهو كان دائما في حاجة إلى سكرتيرة ، لقد كنت تقول ذلك دائما "

- " اللعنة على ماكنت اقول ! لو كان يريد سكرتيرة فليختر شخصا اخر وليس زوجتي " . ازداد صوته غلظة ، واصبح وجهه اشبه بتمثال قدت تقاطيعه من الصخر القاسي ، وعيناه الباردتان تكادان تشتعلان :

- " كم مضى عليكما وانتما كذلك ؟ هذا ما اريد ان اعرفه ، كم عاما من وراء ظهري ؟ "

قام "مات" على قدميه ولكنه ظل بجوار الحائط بعيدا عن مدى قبضة "اوليفر" ، وقال مسترحما :- " بحق القديس بطرس يا"اوليفر" ، لايمكنك ان تظن فينا ذلك .. انا و"فرنسيسكا" .. نفعل ذلك بك ؟ "

ومرر "اوليفر" يده على شعره الاسود ، وتنبهت "فرانسيسكا" فجاة إلى انه مبتل : لقد كانت السماء تمطر في الشارع ، ولكنها لم تنتبه لصوت المطر على النافذة إلا هذه اللحظة ، حينما رات شعر "اوليفر" المبلل ، وبدات في هذه اللحظة تسمع صوت المطر الكئيب المزعج في الخارج

- " ولم لا ، إنه امر يحدث كل يوم - وغد مسكين يرى زوجته بين احضان خنزير كان يعتقد انه صديق حميم ! "

ونظرت "فرنسيسكا" إلى وجه "مات" المتوتر وعضت على شفتها :

- " "مات" ، اسفة انني ادخلتك في هذا الأمر ، فإني لم اتوقع شيئا كهذا ، وإلا لما طلبت منك المساعدة ابدا ، من الافضل ان تذهب فهذه ليست مشكلتك ، إنها مشكلتي انا ، ويجب ان اكون مع "اوليفر" وحدنا "

وتردد "مات" والقلق في عينيه :

- " امتاكدة انت ؟ ربما تحتاجين إلى ... " ولم يكن يجب ان يلفظ بعبارة كتلك ، إذ استدار إليه "اوليفر" ، كاشفا عن اسنانه :

- " الم تسمعها " اخرج من هنا ، وإلا القيت بك خارجا "

وقالت "فرنسيسكا" بسرعة ، خائفة من تصاعد العنف :

- " ارجوك يا"مات" ، اذهب " . ولكن "مات" كان قد اشتط به الغضب ايضا ، ووقف مواجها لـ"اوليفر" ، ضاما قبضتيه :

- " لن ادعها وحدها مع وغد عنيف مثلك ! حينما قالت لي " إنها ستهجرك اخذت ولم افهم السبب .. والآن بدات ارى لماذا ! لم اكن اتصور انك من النوع الذي يبطش بزوجته ، ولكني ارى الآن انني لم اعرفك جيدا ، إنه يمكنك فعل اي شيء وانت في مزاج الشرير "

- " ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم ؟ اقالت لك : اني اضربها ، إني لم امسسها باصبع ، ولكن لتحل علي اللعنة ، إن لم اهشم راسك انت الآن ايها السيد " . وتصلب جسده واتخذ وضع الهجوم مرة اخرى ، واسرعت "فرنسيسكا" لتقف بينهما مواجهة لـ"مات" وعيناها الزرقاوان تتوسلان إليه :

- " لا اريد مزيدا من المشاكل يا"مات" ، ارجوك ، إني شاكرة لك وقوفك بجانبي ، ولكني افضل ان ترحل وتتركني اتحدث مع اوليفر بمفردي ، واطمئن، فهو لن يضربني ، ولم يفعل ذلك من قبل ، فليس ذلك سبب تركي له ، ولكني لايمكنني ان اكون صريحة معه كلية وانت معنا ، فلن اناقش مشاكلي الزوجية امام شخص غريب ، ولذا ارجوك ان تذهب ، وشكرا على كل شيء حاولت عمله من اجلي " . وحملق فيها "مات" وهو غير مطمئن ، ثم هز راسه قائلا :

– " حسنا ، مادمت قلت ذلك يا "فران" ، ولكني سأظل في سيارتي إلى أن يرحل ، وإذا ما احتجت إلي فاصرخي وساعود جريا "

والتوى فم "اوليفر" من الغضب :

– " ستعود جريا ، افعل وستجدني مستعدا لك " وحملق فيه "مات" بغضب ، ثم استدار على عقبيه وغادر المكان .

ولم يبداي من "اوليفر" او "فرانسيسكا" حركة او كلمة خلال لحظات بعد أن صفق الباب ، بل ظلا واقفين ، يحملق كل واحد منهما في الآخر، وتجمد الدم في عروقها للطريقة التي ينظر إليها بها ، فعيناه الضيقتان المليئتان بالكراهية اخذتا تمسحان جسمها ببطء من قمة رأسها اصفر الشعر ، مرورا بالقفطان البيتي إلى اخمص قدميها داخل الجورب . وكانت قد خلعت حذاءها قبل ان تسترخي على الشيزلونج ، في وضع اتخذته ببراءة ليضاف إلى الشواهد ضدها في عيون "اوليفر" .

وقال متشدقا في برود ، وعيناه النفاذتان ترتفعان إليها من جديد :

– " من المؤسف اني لم احضر بعد ذلك بساعة ، لاجدكما في وضع لاتستطيعين معه الإنكار كما فعلت الآن ، وإن كنت لاأري سببا لكذبك ، وقد قررت ان تفترقي عني ، فهل ساسمع شيئا من محاميك قريبا ، ام تريدين ان ابدا انا إجراءات الطلاق ؟ "

واعترضت له بهدوء :

– " نعم ، لقد تركتك ، واعتقد انك اخذت العنوان من إدارة شؤون الافراد "

– " لقد سمعت سكرتيرتي الاقاويل عند عودتها من "ويلز" وامسك بقمة راسها وقد تقلصت شفتاه :

– " نعم ، لقد بدات الشائعات تنتشر ، ولكن ، هذا ماكنت تريدينه ، اليس كذلك ؟ ان تعملي فضيحة تجعلين مني بها اضحوكة في شركتي؟ لقد دخلتما الشركة معا واتخذ منك سكرتيرة له في غيبتي ؛ وبدا موظفي بتهامسون إن كنت اتري شيئا عما يحدث . حينما اتصلت بي "جانيس" دارت بي الأرض ، ولكن حمدا لله ان تمالكت نفسي ولم ابد دهشة ! لقد امسكت لساني وهي تتكلم ، متظاهرا باني اعرف كل شيء

، وبمجرد ان انهت المكالمة ، طلبتك في المنزل ، ولكن بالتاكيد لم تكوني فيه ، اليس كذلك ؟ بلى لم اكن هناك . لقد كانت آلة الرد ترد على المكالمات طوال الوقت ، وكان يجب ان اعرف ان شيئا مايحدث : وعبس خافضا بصره :

– " بل لقد عرفت ، ولكني تخيلت انك مبتئسة لعدم حضوري عيد الزواج . اعتقد ان هذا هو السبب الذي دفعك إلى الرحيل ؟ " لقد كان القشة الأخيرة " .

ونظر إليها نافد الصبر ، وقال :

– " اسف ، لم يكن امامي مجال للاختيار ، كان يجب ان اذهب إلى "ويلز" .

– " ادرك ذلك ، ولم اقل إنك مخطيء في ذلك ، ولكني مللت من اسلوب حياتنا في السنوات الأخيرة ، إنك لا تكون في المنزل على الإطلاق . آه ، حقا ، إن لديك دائما اعذارا ممتازة لكي تخلف مواعيدك ، وتغير الترتيبات ، ولكن النتيجة هي اني اعيش في الريف ، وانت في لندن ، ولايرى بعضنا بعضنا على الإطلاق " .

ورسم عبوسه اخاديد عميقة على جبهته ، وازدادت عيناه العسليتان حدة : " ولذا بحثت عن "مات" ليخفف عنك وحدتك ، اهذا ماتريدين قوله؟"

– " ليس بيني وبين "مات" اية علاقة ، فاخرجه من فضلك من الموضوع " .

– " كيف يمكنني ذلك بحق السماء ؟ إني اعلم انه متيم بك ، منذ البداية ، ولكن لم يخطر ببالي لحظة انه لايمكنني ان آمنه عليك ، وكنت على استعداد لأن اقسم انه ليس الشخص الذي يلعب دورا من وراء ظهري " .

– " لم يفعل "مات" شيئا من هذا القبيل ! إنك حينما لم تحضر الاسبوع الماضي ، قررت الرحيل ، وحضرت إلى لندن لانني اردت ان اكون في مكان مملوء بالحياة ، كنت في قمة الاكتئاب والملل ، وكلما فكرت في الأمر ، ازددت اقتناعا ان زواجنا لم يعد زواجا حقيقيا منذ عدة سنوات .

لقد أضحيت مجرد واجهة لك . شاني في ذلك شان "لامبورن" . كنت هناك لأبدو جميلة في عيون عملائك الذين تحضرهم بغية إبهارهم ، ولكنك لم تكن تحضر إلا بصحبة ضيوف وبقية الأوقات كنت اترك وحيدة في "سسكس" . والآن . بعد رحيل "جون" إلى المدرسة الداخلية ، أصبحت وحيدة تماما . يوما بعد يوم . انسق الأزهار أو احضر اجتماعا للجنة او اساعد في عملية خيرية . ولكنها حياة فارغة ضقت بها ذرعا " .

وكان وجهه يتغير بينما هي تواصل الحديث ، وعيناه تزدادان ضيقا :

- " احدث كل ذلك منذ ان رحل "جون" ؟ اعلم انه لم يكن بإرادتك رحيله، ويمكنني أن افهم كم انت تفتقدينه . ولكن كان المفروض ان تقولي شيئا عن ذلك بدلا من ان تستسلمي للاكتئاب ياخذ بنفسك إلى ان تلقي بي بعيدا كما لو كنت شيئا منبوذا ! ساحاول ان اكون في المنزل فترات أطول من الآن فصاعدا . وليس من مانع ان تحضري إلى لندن كلما اشتقت إلى ذلك . لعمل بعض المشتريات او الذهاب إلى المسرح أو نخرج معا للعشاء . فانت على حريتك تماما طالما بقي "جون" في المدرسة . أعتقد ان هذه فكرة رائعة . و ... "

وقاطعته ببرود :

- " كلا . لست أريد رحلات عرضية إلى لندن . وقد فات الأوان لان تعدني بان تحاول الإكثار من حضورك إلى المنزل . لقد اقسمت انك ستحضر عيد زواجنا العاشر . ثم كان ذلك الانفجار ولم تف بوعدك " .

- " لقد ظننت انك تفهمين الموقف . لم يكن بيدي حيلة في ذلك " .

- " اعلم ذلك . ولكن من المحتمل ان يتكرر ذلك في المستقبل . المرة القادمة قد يكون هناك ازمة في مكان اخر . ولكن كلما كان هناك سبب ، فإن ذلك يعني انني وحيدة في المنزل وانك لم تتمكن من الوفاء بوعدك ان تحضر إلى المنزل . وليس امامي سوى ان اتقبل ذلك . حسنا . لقد اتخذت قراري الا يحدث ذلك بعد الآن . اريد حياة خاصة بي، ان اعيش في لندن . إن لي عملا يثير اهتمامي ويستغرق وقتي كشانك تماما " .

وعادت شفتاه إلى التقلص ، ولمعت عيناه بالغضب :

- " ليس في شركتي ، لن ادعك تعملين هناك " .

- " لقد منحني "مات" العمل ، وإنني متمسكة به " .

- "مات" ليس له الحق في ان يمنحك هذا العمل " .

- " إنه شريك ، وله كل الحق في ذلك " .

- " إنني انا الذي يدير الشركة ، وليس "مات" " .

وسالته بنعومة ، وهي ترفع حاجبيها :

- " احقا ؟ أيمكنك ان تديرها دون "مات" ؟ " فرد بالقضاب " بالتاكيد، ولكن ماذا تقصدين من هذا بالضبط ؟ " فابتسمت في سخرية قائلة :

- " إذا تركك "مات" فإن الشركة ستكون في ورطة ، وانت تعلم ذلك " . فسالها وهو غير مصدق :

- " اتهددينني بان "مات" سيرحل ؟ "

- " لم ازدعن ان اوضح نقطة ما ، إنك و"مات" كليكما مهم للشركة ، ولـ"مات" كل الحق في تعيين موظفين " .

- " ليس دون استشارتي " .

- " وهل تستشيره انت حينما تقوم بالتعيينات ؟ "

واخذ الغضب يتلاعب "اوليفر" ، فاحمر وجهه واحتدت نظراته ، وتقلصت عضلات وجهه . وصاح :

- " اتريدين ان افقد اعصابي ؟ إنك تفعلين ذلك بكل مهارة ، فاستمري ولن تجلبي على نفسك إلا المتاعب ! " فردت عليه بهدوء ، وقد سرها رد فعله :

- " لا تهددني يا "اوليفر" فتقدم إليها خطوة ، ثم استدار وابتعد عنها ويداه مضمومتان بجانبه كما لو كان يريد أن يبطش بهما . واخذت ترقبه وهو يروح ويجيء ، وينظر إلى شيء ، حتى عاد إليها ، وقد وضح انه تمالك اعصابه .

- " حسنا ، ماذا تريدين بالضبط يا "فرانسيسكا" ؟ من الواضح ان لديك افكارا واضحة عن مستقبلك، فما خططك بالنسبة لي ؟ الطلاق ؟ "

ربت عليه ببرود ، تبادله النظر دون خلجة تعبير في وجهها :

- " ليس بعد ، لا . اريد انفصالا مؤقتا فقط ، ويمكن ان تجعله

قانونيا إذا شئت ، أو تنتظرانني ماذا ستكون عليه مشاعرنا بعد عدة أشهر " .

واسترخت عضلات وجهه ، وعاد صوته إلى الهدوء :

- " وسوف تأخذين ذلك العمل مع "مات" "

- " نعم ، " حسنا يبدو انه تقبل الفكرة الآن على اية حال ، لقد سارت الأمور طيبة إلى الآن ، ولم تغامر بإطلاق زفرة ارتياح ، حتى لا تفضح عدم ثقتها ، وتلفت "أوليفر" حوله وسأل :

- " هل قررت أن تعيشي هنا ؟ " - نعم " وحدك ؟ "

فردت بصراحة واضحة ، وهي تواجه وخزات نظراته :

- " في الوقت الراهن ، نعم " . وتصورت لحظة انه سيعود إلى العنف، ولكنه ابتعد متجها إلى الباب دون أن ينبس بكلمة ، وصفق الباب وراءه لقد ذهب ، وكسبت هي . وجلست على الأرض كما لو كانت ساقاها قد خانتاها . وكان حريا بها أن تشعر بالنصر ولكنها لم تفعل. بل شعرت بالبرودة والرعب والوحدة.

الفصل الثالث

كتبت "فرانسيسكا" لـ"جون" تلك الليلة ، تخبره أنها بدأت تعمل في الشركة من الآن ، وأنها ستعيش معظم الوقت في لندن ، وأنها استأجرت شقة . وكان ترتيبها مع "مات" أنها ستأخذ إجازاتها مع إجازات "جون" ، ومن ثم وعدت ابنها أنها لاتزال قادرة على أن تقضي معه أوقاتا طيبة حينما يكون في عطلة . ولم تذكر له أنها طلبت من والده الانفصال المؤقت ، ولم تذكر كلمة عن الطلاق فـ"جون" أصغر من أن يحمل بمثل هذه الأعباء ، وكان خطابها غامضا بعناية وأملت ألا يصيبه القلق .

وفي اليوم التالي طلبت مديرة المدرسة وشرحت لها التغير في الظروف الأسرية عارفة أن المدرسة تحب أن تطلع على أي تطورات قد يكون لها تأثير على الحالة الذهنية للتلاميذ . وسألتها السيدة :

- " وماذا عن المستقبل " ؟. وتنهدت "فرانسيسكا" .

- " ليس لدي فكرة بعد ، إنني أعيش الآن يوما بيوم ، ولكن إذا ماشعر "جون" بالاستياء ، فأخبريني وسأحضر فورا وأحضر والده

معي ، فزوجي لايحب ان يشعر "جون" بالتعاسة ، ولا اود انا ايضا ذلك، وسيمكننا ان نزيل عنه اي استياء " .

وقالت المراة الاخرى في ارتياح :

- " اوه ، إذن فانت والسيد "رانسوم" على اتفاق ؟ " وردت عليها "فرانسيسكا" برفق :

- " نعم ، بالتاكيد " .

وبعد ان انهت المكالمة تجهم وجهها وقد استغرقت في التفكير - إنها و"اوليفر" يمكنهما ان يلقيا غلالة على الشروخ في علاقتهما من اجل "جون" ، ولكنه سيكون غباء ان يحاولا خداع نفسيهما بهذه الطريقة . وتلوت في فراشها في الفندق ، تامل من كل جوانحها ان تكون ماضية في الطريق السليم ولكن الشكوك تنهش قلبها ، ولم تخلد للنوم إلا بعد وقت طويل .

وكان اليوم التالي مشغولا بمشترياتها ، سرير ، وخزانة ملابس ومراة - لغرفة النوم الصغيرة . ولم تكن تشتري لهذه الغرفة ايضا إلا الضروري من الاثاث ، جاعلة إنفاقها في اضيق الحدود . وارسل كل ذلك في نفس اليوم عصرا ، وانتقلت في المساء إلى مسكنها . وتجولت من غرفة إلى اخرى ، لاتكاد تصدق انها اصبحت هنا ، ولكنها كانت راضية ان انجزت كل ذلك في هذا الزمن القصير .

وادارت جهاز الراديو وبدات تعد لنفسها عشاء خفيفا ، جبنا وسلطة وبعض الفواكه ، وجلست إلى المائدة المصنوعة من خشب البلوط ، والتقطت الشوكة والسكين ، ثم قفزت حين سمعت قرعا على الباب الخارجي . اهو "اوليفر" ؟ دار ذلك في ذهنها على التو وهي تضع الشوكة والسكين ، وقد تورد وجهها . ولم تكن راغبة في جدل معه في هذه الليلة .

وبينما هي جالسة مترددة ، عاد الطرق الحاد على الباب ، فتوجهت إليه على مضض .

ولم يكن "اوليفر" على الإطلاق ، بل كان "مات" ، مرتديا" سويتر وجينز" . وقالت :

- " اوه ، اهلاً وخطت إلى الوراء واشارت إليه إلى داخل الشقة .

وسالها وعيناه تجولان في الشقة كما لو كان يريد التاكد من ان المكان مامون:

- " هل انت بخير ؟ "

- " انا بخير ، شكرا " ولما رات عينيه تجولان في غرفة النوم سالت باستغراب :

- " "مات" ، ما الذي تفعله بالضبط ؟ " فقال معترفا باسى :

- " اتاكد من ان "اوليفر" ليس هنا " . واخذت كلتاه تسترخيان كلما زاد تاكدا من انها بمفردها " لقد طحنني طحنا هذا الصباح . عندما تجاد لنا كثيرا في الماضي ، ولكن هذا لم يكن جدالا - بل كانت حربا بكل الابعاد ، ولا اعتقد انني بمستطيع مواجهته لفترة .

اسفة يا "مات" ، لم يكن قصدي ان اجعلك تتشاجر مع "اوليفر" " ونظرت إليه في اسى . فوجه "مات" ابتسامة إلى عينيها الزرقاوين ، ومد إليها يدا مترددة ولمس وجنتها باصبعه وقال :

- - " لا تكوني حمقاء " .

- " كلا ، إنني جادة - لقد كانت انانية مني ان اطلب منك المعونة ، عالمة كيف يمكن ان يكون عليه رد فعل "اوليفر" ... "

- " كنت ساكون مستاء للغاية لو لم تفعلي ، وسالت شخصا اخر . إن "اوليفر" يمكنه ان يجعلني عصبيا ، ولكنني سعيد انك جئت إليّ ، ولو حاول ان يثيرني بعد الآن ، فلن ازيد على ان اقول له لتذهب إلى الجحيم . انظري ، لن ابقى طويلا . لقد جئت لاسالك فقط إن كنت في حاجة إلى شيء ما ، وإذا كنت مستعدة لبدء العمل اعتبارا من الاثنين القادم " ..

وردت عليه مبتسمة :

- " لا ونعم " ، لا اريد شيئا ، وشكرا لك ، ونعم ، سابدا اعمل الاثنين القادم" وعاود الابتسام ونظر إلى المائدة قائلا :

- " هل قطعت عليك عشاءك ؟ "

- " لم ابدا بعد ، لقد اوشكت ان ابدا " ونظرت إليه نظرة جادة وقالت :

- " هل تناولت طعامك ؟ هيا شاركني فهناك المزيد من الطعام ، ليس

عشاء فاخرا ولكن مرحبا بك في مشاركتك لي فيه "

ونظر "مات" إلى الطعام ، ونظر إلى الباب ، ونظر إلى ساعته ثم قال

- " شكرا يا "فران" ، إن الدعوة مغرية : إلا أن ... "

وسالته جذلة وهو ينظر مرة اخرى إلى الباب :

- ماذا ، الديك موعد غرامي في مكان اخر ؟ "

فرد عليها ضاحكا لهذه الفكرة :

- " رباه ، ابدا ! " قالت :

- " إذا لماذا تبدو كجدي متردد إذا كان سيقفز من فوق قمة جبل ام لا "

وضحك مرة اخرى ماخوذا ، وسال :

- " اهذا ما ابدو عليه ؟ حسنا ، لست ادري شيئا عن الجديان ، ولكن القفز من فوق قمة جبل اهون من مواجهة "اوليفر" لو جاء وراني هنا مرة اخرى "

ولم تدهش "فرانسيسكا" لسبب هذا التوتر لدى "مات" ، وقالت له في هدوء :

- " لست متوقعة "اوليفر" فرد بجفاء :

- " لا احد يمكنه توقع "اوليفر" ، وهذا سر نجاحه ، فهو دائما ياخذ الناس على غرة . " والتفت إلى الباب وقال :

- " لست جبانا ، ولكن "اوليفر" في حالة نفسية سيئة يمكن ان تجعله مصدرا للخطر ، ولذا فمن الأحسن ان انصرف يا "فران" ، إنني مسرور لانك على مايرام، وان امورك تسير سيرا حسنا "

وفتحت الباب ، ووجدت على عتبته الخارجية شخصا في متوسط العمر يبتسم لهما .

- " مرحبا ، انتما الجيران الجدد ؟ إنني اسكن الطابق العلوي - "جيفري باركر" .

- " هالو ، " ومدت "فرانسيسكا" يدها وهي تتمتم باسمها ، ثم اضافت :

- " وهذا صديق يساعدني على الانتقال إلى السكن ... " فقال وهو يومىء لـ"مات" :

- " اوه ، فهمت

حسنا ، اتمنى ان تكوني سعيدة هنا ، إنه مكان لطيف للمعيشة فيه، فالناس هنا ذوو ود ... " وانخفض صوته تدريجيا وهو يسمع وقع اقدام تصعد مسرعة على السلم ، ثم اقتحم "اوليفر" المشهد ، وتوقف فجاة حين راى مجموعة صغيرة امام مسكن "فرانسيسكا" وحملق مستر "باركر" فيه في فضول . وتصلب "مات" وهو يرى عيني "اوليفر" الضيقتين تنتقلان بينهما قبل ان تستقرا على "فرانسيسكا" .

رفعت ذقنها في تحد ، ثم التفتت إلى "مات" قائلة :

- " حسنا ، شكرا لمجيئك يا "مات"

فردد النظر بينها وبين "اوليفر" في شك ، ولكنها لم تدع له فرصة ليقوم بما يفكر فيه ، وابتسمت بادب لمستر "باركر" وقالت :

- " سعيدة بلقائك يامستر "باركر" ، وحينما اقيم حفلة ترحيب بمناسبة استقراري في الشقة ، ارجو ان تحضر " فقال :

- " سيكون ذلك من دواعي سروري " . وبدا دهشا للتغير في الجو لحظة وصول "اوليفر" .

وابتسمت مرة اخرى ، ثم خطت إلى الداخل ، واغلقت الباب بحدة . وما إن شعرت بالامان بالداخل حتى وقفت تستمع وقلبها يدق بعنف داخل صدرها ، حتى اصم اذنيها في بادئ الامر لدرجة انها لم تستطع سماع مايدور في الخارج.

قال مستر "باركر" مغمغما :

- " حسنا ، يحسن بي ان انصرف " ورد "مات" في ارتياح : " فعلا ، وكذا يجب علي " .

سمعت احدهما ينزل ، وعرفت انه مستر "باركر" وهي تسمع زمجرة "اوليفر" المنخفضة .

- " ما الذي تفعله هنا بعد ماقلته لك صباح اليوم ؟ " ورد عليه "مات" محافظا على صوته منخفضا حتى اضطرت إلى إلصاق اذنها بالباب :

- " لست اتلقى اوامر منك "

- " بالنسبة لزوجتي ، ستفعل "

- " إذا احتاجت "فران" إلى مساعدتي ، فساقدمها لها ، مهما كان ظنك "

- " إذا احتاجت مساعدة ، فعليها أن تطلبها مني ! " .

ورد "مات" بغباء :

- " إنك آخر شخص تطلب منه ذلك " . وسمعت "فرانسيسكا" شهيق "أوليفر" وحتى من خلال الباب الموصد استطاعت أن تشعر بجو العداء بين الرجلين ، ولم تستطع أن تدع "مات" يدخل في معركة من أجلها مع "أوليفر" ، فجذبت الباب بشدة ، ونظر إليها الرجلان ، وجهاهما محمران ، وعيونهما متقدة .

- " مات" ، أرجوك - انصرف ، أريد أن اتحدث مع "أوليفر" وعبس "مات" لها مترددا فتوسلت إليه :

- " أرجوك يا"مات" " فهز كتفيه وابتعد نازلا السلم .

وحاول "أوليفر" الدخول ، ولكنها اعترضته قائلة :" ببرود ، وقد تأكدت من رحيل "مات" :

- " لم ادعك إلى مسكني ورفعت عينيها الزرقاوين لتواجه نظرات "أوليفر" النافذة .

- " مسكنك ؟ " ويبدو أن الكلمة اشعلت الغضب بداخله ، فارتعشت أرنبة انفه واتخذ فمه خطا قاسيا وهو يحملق فيها .

وحملقت فيه بدورها ، رافضة التخاذل ، وقالت :

- " من الآن فصاعدا ، نعم " . وافتر ثغره بالكاد ليغمغم ببرود كالثلج :

- " حسنا ، لقد قلت إنك تريدين الحديث معي "

- " نعم ، بخصوص "مات" .. "

وقاطعها بحدة :

- " لن اناقش هذا معك هنا ، حيث يمكن للجميع أن يسمعونا " وقبض على ذراعها باصابع فولاذية ، ودفع بها إلى الداخل قبل أن تتمكن من منعه .

وتخلصت منه "فرانسيسكا" في غضب ، ولمحت لمحة رضا في عينيه لقد سره أن تمكن من فرض إرادته عليها ! ودفعها هذا إلى مزيد من الغضب ، فالتفتت إليه ، وصاحت بصوت أجش :

- " نعم ، إنك تتمتع بدفع الناس ، وهذا ماكنت تفعله مع "مات" ،

تهدده بكل صور الانتقام لمساعدته لي ! "

وصفق "أوليفر" الباب وراءه وهو يقول :

- " ليس له الحق في التدخل بيني وبين زوجتي "

- " لم يفعل شيئا من هذا القبيل . لقد تركتك وجئت إلى لندن دون علم منه ، فلا تحاول خداع نفسك بان لـ"مات" يدا في انهيار زواجنا ، لان ذلك ليس حقا . فلو لم يوجد "مات" ، لتركتك أيضا "

واشتعلت عيناه بالغضب ، وعادت إلى غرفة المعيشة ، وقد قفز قلبها إلى فمها ، وتبعها "أوليفر" في خطوات بطيئة ثقيلة تجمع كل ما في حيوان مفترس يتبع ضحيته من تهديد . وشعرت "فرانسيسكا" باعصابها تحترق كغابة شبت فيها النيران ، ولكنها حينما استدارت إليه ، كانت قد استعادت رباطة جاشها . وجالت عيناها الزرقاوان العميقتان فيه .

لم تكن تشك في سورة غضبه لتركها إياه ، ولكن ، كم من هذا الغضب كان يجرح كبرياءه ؟ وهل هو يهتم بشخصها حقيقة ؟ تلك هي الأسئلة التي لم تكن تزمع أن توجهها إليه ، حتى ولو كانت تتحرق شوقا إلى معرفة الإجابة عنها . لقد قررت أن تصدمه وتشدهه برحيلها ، ولم يدهشها رد فعله ، فقد كانت تتوقعه ، لمعرفتها بـ"أوليفر" .

ولكن مالم تعرفه هو ما إذا كانت قد استطاعت أن تهزه لدرجة أن ينظر إلى زواجهما بعيون جديدة .

لقد القى الزمن والتعود غشاوة على العلاقة بينهما ، ولم يكن "أوليفر" يراها حقيقة منذ سنوات عديدة ، فهل عاد يراها الآن ؟ أيفهم حقيقة أن يفقدها ؟ أم أن الأمر لا يعدو غضبته لفقده شيئا يملكه ؟

وقالت له بهدوء :

- " كفاك شجارا مع "مات" ، هذا كل مافي الأمر ، ... آه ، هناك أمر آخر ، لقد كتبت لـ"جون" اليوم "

شعلة أخرى من الغضب تطايرت من عينيه ، وتوتر جسدها وهو يعد يده ليمسك بها ، وصرخ فيها :

- " ماذا فعلت ؟ لا أريد أن تقحمي "جون" في هذا الأمر الحقير "

- " لا تصرخ في وجهي ! وعلى العموم ، لقد كنت في غاية الحرص

فيما ذكرت له ... لم أزد على ان ذكرت له انني سابدأ اعمل في الشركة وساقيم في لندن اثناء دراسته . لقد رتبت امر الإجازات مع "مات" بحيث اكون حرة كلما حصل "جون" على إجازة للعناية به ".

وقال ساخرا :

- " أفي هذه العلبة ؟ " ودار ببصره في المكان في احتقار . فردت وهي تشيح ببصرها :

- " قد يجد متعة في أن يرقد على الشيزلونج عدة ايام ".

وقال مصرا :

- " لن يقضي إجازاته إلا في "لامبورن" ! إذا اردت رؤيته ، يجب ان يكون ذلك هناك ".

- " إنك لا تمسك بكل الأوراق في يدك يا "أوليفر" ، فلا تتخيل في نفسك ذلك" ورفعت بصرها إليه في غضب :

- " لا تجبرني ان اتخذ إجراءات قضائية ضدك بشان حضانته ، فسيكون هو من يقاسي نتيجة ذلك ".

- " لا تهددني يا "فرانسيسكا" ".

- " إنك انت من تهدد ، بينما ابحث انا عن حل وسط معقول .. "

- " حل وسط ؟ " وقذف بالكلمة في وجهها ، وشد قبضته عليها حتى انغرست في لحمها ، وطفق يهزها في عنف ، حتى تناثرت خصلات شعرها منسدلة على وجهها متطايرة حوله .

غاض الدم كلية من وجهها ، واضحت باردة كالثلج ، ترتعد مدة دقيقة . وفي اللحظة التالية ، كان جسدها يتهاوى في قبضته ، وارتمت إلى الأمام وقد خارت قوة ساقيها . ولم تسمع شهقة "أوليفر" الفزعة ، او تشعر بذراعيه تلتفان حولها ، ولكن حينما بدا يرفعها ليحملها إلى الشيزلونج بدات تخرج تدريجيا من الظلام الدامس الذي سقطت فيه لحظات وجيزة ، وظلت عدة ثوان لاتدري اين هي او ما الذي يحدث . ظلت مستسلمة ، مغلقة العينين ، لصيقة بجسد "أوليفر" الدافيء وانفاسه المتلاحقة ، وسرت في جسدها نوبة من النشوة ، فقد كانت تعلم من يضمها ، لقد شمت عبير رجولته ، وتنبهت إلى يده خلف ظهرها ، وشدتها الرغبة إليه وهو يسجيها على الشيزلونج .

ويركع بجوارها ، يهتف باسمها في قلق ، وهو يربت على خديها ويزيح الشعر من فوق وجهها .

وابقت عينيها مغلقتين ، خشية ان تفصحا عن مشاعرها لو نظر فيهما ، فالواجب الا يعلم "أوليفر" انه يمكنه ان ينال منها عن هذا الطريق ، وإلا فسيستعمل هذه المعلومة بلا شفقة .

وهمس :

- "فران" ، متناولا رسغها ، ضاغطا بإصبعه عليه . كان ياخذ نبضها ، وسرعان ماسمعته هي ، يهدر في اذنيها ، ويتدافع في عروقها ، وبدا لها ان اندفاعه زاد إلى الضعف و"أوليفر" يضع يده على جانب رقبتها ، يتحسس النبض هناك . كان الاحتكاك البارد لأصابعه على جلدها يبعث بلذة لا توصف في جسدها ، ووددت لو فتحت عينيها في هذه اللحظة ، ولكن كيف يمكن ان تدعه يعرف ماتفعله مداعبته بها؟

وساد الصمت مدة طويلة ، واحست به يراقبها ، تكاد عيناه تخرقان جسدها، وكانت تتنفس ببطء وصعوبة ، وبدات أصابع "أوليفر" تنزل من رقبتها إلى مقدم صدرها ، ثم واصلت نزولها ، واعترتها هزة عنيفة وهي تحس به يفك الزرار الأعلى لبلوزتها .

واندفعت كالرمح جالسة والدم يكاد ينفجر من وجنتيها ، وضمت ركبتيها إلى صدرها ضاغطة بذقنها عليهما ، ولاتزال غير قادرة على ملاقاة عينيه ، ومن ثم قالت بصوت أجش .

- " من الافضل ان ننصرف الآن " .

وقال لها في صوت ناعم مضطرب

- " لقد اغمي عليك " ، وشعرت به يراقبها بعينين لامعتين مركزتين .

- " إنني بخير ، وساكون على مايرام بعد ان اتناول الطعام - كل ما في الامر انني نسيت ان اكل طوال اليوم ، واعتقد ان هذا هو السبب فيما حل بي! ووددت لو ينصرف حتى يمكنها القيام ، ولكنه ظل مكانه ، جد قريب منها ، وعلى محياه تلك النظرة التي تدعو إلى القلق ، وكانت خائفة ان يكون قد احس رد فعل جسدها الذي اعتمل داخلها .

وارتفع صوته غاضبا :

- " انسيت ان تاكلي ؟ " واحست بجسده يتصلب مرة اخرى ، وكان

جسدها يلتقط كل إشارة من جسده مهما خفتت ، ولكن عقله كان هو الشيء الذي لم يكن يمكنها ان تسبر غوره . " كيف يمكنك ان تكوني بهذا الغباء ، إن اي طفل يعرف اكثر منك . انقضين اليوم بطوله تجرين في لندن دون غذاء يدخل جسدك؟ وتريدين ان تعيشي هنا بمفردك ؟ إنك لست مؤهلة لذلك " .

وانتفضت لهذا القول ، وامكنها اخيرا ان تواجهه ، مرتفعة الذقن ، وعيناه الزرقاوان محتدتان :

- " كنت ساكون بخير لو لم تقتحم علي حياتي وتبدا تنغصها علي " .

وكان من الكرم ان يبدو مرتبكا :

- " انغص عليك حياتك ؟ لم افعل شيئا من هذا القبيل " .

- " بل تعلم انك قد فعلت ، لقد اغمي علي لانك هاجمتني " .

- " هاجمتك ؟ " وبدا صوته يتحشرج ، وتلاقى حاجباه الاسودان :

- " هانتذي تصبحين حمقاء ، لم افعل سوى ان هززتك هزا خفيفا - هكذا " وامسك بكتفيها ، واوشك ان يهزهما مرة اخرى حينما قابلت عينيها عينيه فتجمد ، وعبس ، ثم غمغم قائلا :

- " اسف إذا كنت السبب في إغمائك ، دعيني اصلح غلطتي ، هيا لتناول العشاء معي " .

- " إن لدي وجبة ممتازة على المائدة تنتظرني ، ولو تكرمت بالانصراف ، فسانتاولها " ونظر إلى الطعام ثم ظهرت السخرية على وجهه :

- " اهذا ؟ لا يصلح هذا إلا للارانب " .

- " إنه يلائمني تماما ، فمن فضلك انصرف يا "اوليفر" " .

- " هانتذي لاتثبتين على حال ، إنك تدعين انك تركتني لانك لا ترينني ، وحينما ادعوك إلى العشاء تخدلينني ! " .

- " طوال السنوات الثلاث الماضية لم اكن اراك إلا في العلن ، حفلات عشاء ، او استقبال ، او رقص ، في لندن ، او حتى في منزلنا حينما تحضر ضيوفك معك ، لا اريد ان اراك في العلن مرة اخرى يا "اوليفر" " .

ودار ببصره في الغرفة ، ثم سال :

- " اهذا الجو خاص بمافيه الكفاية ؟ لماذا لا اخرج واحضر طعاما صينيا نتناوله معا ؟ "

وراقت لها الفكرة ، ولكن الوقت لم يزل مبكرا لتقبلها ، فكل غريزة فيها كانت تحذرها من القبول ، فهزت راسها قائلة :

- " ليس الليلة فإني متعبة ، اريد عشاء خفيفا حتى انام مبكرة " . فهتف بصوت منغم ، وقد ومضت عيناه :

- " هذه الفكرة تستهويني جدا " وسرت الرعدة في عروقها ، ولكنها ابتلعت ذلك الشعور واجبرت نفسها على ابتسامة خفيفة صارمة وقالت :

- " تصبح على خير يا "اوليفر" " . وتوجهت إلى الباب الخارجي قبل ان يستطيع الإمساك بها . وفتحت الباب ووقفت عنده متحدية ، وبعد لحظة هز كتفيه واتجه إلى الباب ، ولكنه توقف ووجه إليها نظره وقال وهو يتلذذ بإغاظتها بابتسامة :

- " إني منصرف الآن لانك سبقتني بالإغماء ، ومقر بانك في حاجة إلى الطعام والنوم ، ولكن المرة القادمة لن تفلتي بهذه السهولة " . فلم تزد على ان قالت :

- " تصبح على خير يا "اوليفر" " . فانصرف وهو يقهقه .

وخلدت "فرانسيسكا" إلى النوم مبكرة ، ولكن لم يكن نوما مريحا ، إذ ظلت طوال الليل تنتابها احلام الرغبة الجسدية ، الامر الذي تذكرته بقلق في الصباح التالي ، لابد انه تاثير الزبد الذي تناولته . هذا ما اقنعت به نفسها ، إذ له شهرة في إفساد النوم .

ونظرت في ثلاجتها صغيرة الحجم وقررت انها محتاجة إلى شراء بعض الطعام هذا الصباح . فكل مالديها الآن هو ماتحتاج إليه بصورة ملحة ، ولو كان "اوليفر" سيحضر فجاة للعشاء لوجب ان يكون لديها شيء متميز تقدمه له .

وقررت ان تشتري سمكا مدخنا وشرائح من اللحم ، لقد مر دهر منذ ان جهزت له طعاما . في بدء زواجهما ، حينما كانا يعيشان في شقتهما المتواضعة ، كانت تحب تجهيز الطعام له ، تشتري له مايحبه باكبر قدر من الاقتصاد ، وكانت تسعد بان تسير عدة كيلو مترات

لتشتري بارخص الاسعار قطع اللحم التي تنفق الساعات لتنضجها ببطء وصبر إلى ان تصير كاحسن انواع اللحم مذاقا ، وكانت تجوس خلال الأسواق لتشتري اكثر الخضراوات طزاجة ، بارخص الاسعار ، وتنهدت في اسى . لقد اصبح "اوليفر" معتادا على الارقى في الطعام وفي كل شيء ، وربما ينطبق ذلك على المراة التي في حياته ايضا ؟ ! لقد اصبحت بالنسبة له شيئا معتادا ومملا ، ويبدو ان "اوليفر" يفضل الآن امراة مبهرجة ومبالة للمظاهر مثل "جانيس سيلفستر" .

وجعلها الالم تغمض عينيها وتعض شفتها لتمنع شهقة بكاء ارادت الانطلاق ، امرت نفسها ان تكف عن ذلك ، فهي قد قررت مواجهة هذا الاحتمال بالفعل - وإلا فلم هي هنا الآن ؟ ولكنها لاتستطيع ان تكون متاكدة من مشاعر "اوليفر" إلى الآن . لقد استشاط غضبا لقرارها ان تتركه وتعيش بمفردها في لندن ! إلا ان هذا الغضب لايعني انه لا يزال يحبها . يجب ان تكون متاكدة من مشاعره ، وما يريده بالضبط ، قبل ان تقرر مانفعله .

إنها لن تكون من الغباء بان تسأله مباشرة . عليها ان تعرف ذلك بنفسها . فإذا كان لـ"اوليفر" علاقة بتلك المراة ، فسرعان ماستكتشف ذلك، فكل خلوة بينهما ستكون مكشوفة لها . و"اوليفر" زوجها اولا واخيرا منذ عشر سنوات ، وتعلم كل شيء عنه ، حتى ولو كانت بدات تعتقد في الآونة الاخيرة انه تغير جذريا، وانها تزوجت رجلا اخر . إنها لم تعد متاكدة من تفكيره . إلا ان جسدها لايزال يلعب على انغامه، وسيخبرها إن كان "اوليفر" على علاقة باخرى .

إن عليها ان تكون لديها ادلة اخرى . هناك الكثير من الاقاويل في الشركة ، وقد قرات على وجه "مات" انه يشك في ذلك ، ولكنه من الوفاء ولدرجة انه لن يخبرها بشيء - ولا هي تنوي ان تساله ان يخون صديقه . فليس ذلك من العدل في شيء ، فالرجال لهم عالمهم الخاص ، وعلى المراة العاقلة ان تتفهم ذلك والا تقحم نفسها في تقاليدهم . إنها تنظر إليهم احيانا على انهم ذوو عقول عادية ، ولكن لايوجد شيء يعلل هذا الوضوح وحتى هي لم تعد عادية ، ولو ان "اوليفر" يبدو انه يعتقد ذلك . فكل افعالها ودوافعها حتى إلى هذه اللحظة كانت غاية

في التعقيد : فهي قد جاءت إلى لندن من جهة لتكتشف الحقيقة عن "اوليفر" وسكرتيرته ، ولكن من جهة اخرى ، للاسباب التي ذكرتها للرجلين .

فطالما بعد "جون" عن المنزل اغلب الاوقات ، ولا احد في المنزل طول الاسبوع ، لم يعد احد في احتياج إليها ، ويجب ان تشعر المراة ان هناك من محتاج إليها .

طلبها "مات" و قد اوشكت ان تخرج للشراء :

- " ربما يكون من دواعي اهتمامك ان تعرفي ان "اوليفر" بصدد السفر لـ"جلاسجو" . وكان من الواضح انه يعتقد ان يزف لها نبأ مهما وكان يبدو ايضا انه لايستطيع رؤية وجهها .

وسالته في صوت اقرب إلى الجفاء :

- " هل من تفسيرات اخرى ؟ "

- " بعض المشاكل مع رجال النقابة في المصنع الاسكتلندي ، وربما يغيب هناك عدة ايام .

ما خطتك لنهاية الاسبوع يا"فران" ؟ لقد كنت افكر في الذهاب إلى حديقة "وندرسون سافاري" وتناول الغداء هناك ، على شاطئ النهر ، فهل تصاحبينني؟ "

- " إنك في غاية اللطف يا"مات" ، وربما وددت ذلك في وقت اخر ، ولكن لابد من ذهابي إلى "لامبورن" لإنجاز بعض الامور " . لقد قررت ذلك في تلك اللحظة في الواقع . فهي لم تكن تريد ان يتعود "مات" على السؤال ان تخرج معه . وهذا العذر كاف لإبعاده حاليا . ولكن بالإضافة إلى ذلك ، فبينما "اوليفر" على بعد مئات الكيلو مترات ، ستكون في مامن عند قضاء عطلة نهاية الاسبوع بمنزلها .

واقترح "مات" على النو :

- " هل تريدين ان اوصلك بالسيارة ؟ " ولكنها ردت بلطف إن معها سيارتها ، كما انه سيكون عندها من المشاغل مايجعلها غير قادرة على استقبال ضيف. وقبل "مات" قرارها على مضض وانهى المكالمة ، قائلا: إنه سيراها يوم الاثنين إذن . وكان الطريق إلى "سسكس" مزدحما كعادته ، واستغرق الطريق عدة ساعات لوصولها إلى منزلها . وبدا

"لامبورن" جميلا في ضوء شمس الخريف مما رفع معنوياتها بعض الشيء ، ولكن ياسها لكون "أوليفر" قد سافر إلى "اسكتلندا" ظل جاثما على صدرها ، وهي تصعد إلى الطابق العلوي إلى غرفة نومها واخذت تختار ما ستاخذه معها من ثياب إلى لندن .

وعبات عدة حقائب ، وتناولت غداءها في المطبخ ، علبة من شربة الخضار تناولتها مع خبز محمص، اتبعتهما بتفاحة من حديقة منزلها ، وقطعة من الجبن الشيدر من الثلاجة .

كان المنزل مرتبا ترتيبا رائعا ، فمسز "هاين" لا تتهاون في عملها حتى ولو كانت مخدومتها غائبة . وغسلت "فرانسيسكا" الأطباق بعد انتهائها من تناول الطعام ، ورتبت المطبخ كما كان ، فلم تكن تريد ان تترك وراءها اي اثر لزيارتها لمسز "هاين" . وجالت خلال المنزل وهي شاعرة بالوحدة ، ووقفت في حجرة ولدها ، تتمنى لو كان "جون" موجودا . واخذت تتلمس كتبه ، ولعبه المرتبة بعناية . لقد كان كل شيء في غاية الكمال ، كان المنزل اقرب إلى معرض انيق ، إلا انه لم يعد منزلا منذ امد بعيد ، وتمنت لو عادت إلى شقتها الصغيرة في لندن وشاهدت التليفزيون في ذلك المساء ، حيث شغل ذهنها بعضا من الوقت على الاقل ، وذهبت للنوم مبكرة ، ولكنها لم تستطع النوم . بل رقدت تستمع إلى الأصوات المالوفة لريف "سسكس" ، حفيف الأشجار لمرور الهواء خلالها ، صياح ثعلب على البعد ، صدى نعيق بومة من مكان قريب ، لقد تعودت على صوت مرور لندن في المساء ، وكان رجوعها لأصوات الريف مرة اخرى امرا مزعجا ، زاد حدة بفعل الظلام . ففي لندن يوجد دائما وهج ذهبي ، إذ يملأ السماء ضوء مئات من مصابيح الشوارع ، وهنا لايوجد سوى النجوم والقمر يتحرك خلال السحب . لقد حولت الأشجار التي حول المنزل منظره إلى حديقة من الخيالات .

واخذت "فرانسيسكا" تتقلب في فراشها ، وتمنت لو كانت قد عادت إلى لندن، فقد كرهت ان تذهب إلى الفراش في هذا المنزل الضخم الفارغ . كانت تخشى الوحدة ، والصمت ، والظلام .

وتصلب جسمها فجاة وتجمدت اطرافها حين سمعت اصواتا في

الطابق السفلي ، صريرا خافتا لم يلبث ان سكت .

هل يوجد شخص ما ام هي مخاوفها صورت لها ماليس في الواقع؟

واستمرت راقدة تحاول ان تصيخ السمع ، ولكن بقات قلبها كانت تصم اذنيها ، وعيناها تخترقان الظلام بحثا عن ... ماذا ؟

هاقد عاد مرة اخرى ! بكل تاكيد هذه المرة ، هناك من يتلصص في الصالة .

هبت من الفراش واضاءت النور ، وبيد مرتعشة تناولت مضرب الجولف الذي تحتفظ به منذ سنوات بجوار مخدعها ، تحسبا لاي شخص يقتحم المنزل . هل مع المقتحم سلاح ؟ ورفعت سماعة الهاتف بكل هدوء بجوار السرير وبدات تدير رقم الشرطة ، إلى ان اتركت ان الخط مفصول . يا إلهي ، هل قطع سلك الهاتف ؟ ووضعت السماعة ورفعتها مرة اخرى ايضا ، لاتوجد حرارة ، لم يعد لديها شك في انه قطع السلك .

واقترب الصرير اكثر ، هاهو ذا المقتحم يصعد الدرج ، وتحسست تبحث عن روبها وهي تسرع إلى الباب لكي توصده بالمزلاج قبل ان يصل .

وما إن وصلت إلى الباب ، حتى كان هناك من يحاول فتحه .

والقت بنفسها على الباب في صراع يائس لتغلقه وتوصده ، وتتلاحق انفاسها ، تكاد تصم اذنيها عدا سماعها لأنفاس اخرى على الجانب الآخر لرجل يحاول ان يدفع الباب تجاهها ، وكان هو الاقوى ، وهي ليست ندا له ، وبدا الباب ينفرج تدريجيا إلى ان اضطرت إلى التراجع ، ممسكة بعصا الجولف بيد ، بينما تحاول بيدها الاخرى ان تجمع ثيابها الشفافة حولها كما لو كانت تخفي ماتحتها .

وصاحت في صوت مضطرب كاذبة : " لقد ابلغت الشرطة " . وملا الرعب عينيها الواسعتين ، بينما يندفع المقتحم داخل الغرفة .

الفصل الرابع

صاح المقتحم وهو يندفع إلى الداخل ثم توقف :

- " اهو انت ! لقد ظننتك لصا ، إنك محظوظة إذ لم ابطش بك قبل ان انظر إليك جيداً .

وجعلها الصوت تتجمد ، وقلبها يتوقف ، وصاحت :

- " اهو انت ؟ انت ؟ "

وقال لها "اوليفر" بغلظة :

- " كفى صياحا كالبومة واخبريني ماذا تفعلين هنا " ؟ وجلس على حافة السرير ومعطفه الكشمير الأسود الناعم مفتوح فوق الحلة التي يرتديها عادة حينما يريد إبهار عملاء له .

وردت بحدة :

- " دعك مما افعل هنا ! إن السؤال هو ماذا تفعل انت هنا ؟

تمتم :

- " إنه منزلي " ووميضت عيناه بسرور تهكمي :

- " لم يحدث ان هجرته ، بل انت من فعل ذلك ، ولذا فاعذريني إن

دهشت ان اراك تعودين إليه بعد ان ذكرت انك تركته إلى الابد " .

واحمر وجهها إلى منبت شعرها وشعت عيناها بالكراهية :

- " لقد ظننتك في جلاسجو " .

- " لقد كنت هناك فعلا ، توجهت إليها في الصباح ، ثم عدت في المساء ، وكنت مقررا المبيت بلندن ، ولكن لسبب ما قررت الحضور " .

وكانت عيناه تقتحمانها وساعها ذلك ، وضمت ملابسها حولها اكثر ولمح "اوليفر" هذه الحركة العادية ، فالتوى فمه سخريه :

- " بعد عشر سنوات من الزواج ، اليس من المضحك ان تتصرفي كتلميذة عذراء ياڤرانسيسكا ؟" وصرخت فيه بعيون ملتهبة :

- " إخرس " وضحك هو :

- " ماذا حدث ؟ هل لمست وترا حساسا ياعزيزتي ؟ هل تشعرين فجاة بانك عذراء ؟ إني اتعجب ما السبب ، اهو انا ام "مات" من تسبب في هذا التغيير المدهش ؟ "

واستشاطت غضبا إلى ان اهتز جسدها ، او على الاقل ، قالت لنفسها إنه يهتز من الغضب وصرخت فيه :

- " اخرج من غرفة نومي ! " ورنا إليها طويلا بعينين مسبلتين تشعان بالسخرية .

- " غرفة نومك ؟ اتستخدمين ضمائر الملكية بطريقة خاطئة ياعزيزتي ؟ إنها كانت على الدوام غرفتنا " . ونهض ينزع عنه معطفه ، والقاه على كرسي ، وبدا يخلع سترته .

وقالت وهي تحاول ان تخفي اضطرابها " .

- " حسنا ، لم تعد كذلك منذ الآن ، اخرج من الغرفة فورا ياأوليفر" ، اريد ان اعود إلى فراشي " .

- " لاتجعليني اعوقك عن ذلك " قالها بنعومة وهو يخلع الصديري ويلقيه على الكرسي : وقالت في صوت اجش :

اقد سارت هذه النكتة اكثر من اللازم ، ولست اجدها مضحكة على اي حال. فرد وهو يفك ازرار القميص :

- " إنها ليست نكتة " ولمحت الصدر البني الداكن المملوء بالشعر، وابتلعت ريقها في ياس ، وقد اعترتها ومضة من الإثارة .

قالت :

- " لن تشاركني غرفتي ياأوليفر" ولم تصدق انها كانت تقصد ذلك. إن "اوليفر" قد يكون فيه مافيه ، ولكنه ليس الرجل الذي يفرض نفسه ابدا على امراة لاترغبه ، ومن ثم فلابد انه يفعل ذلك لإغاظتها ، ولكنها هي التي كانت مرعوبة مما يحدث ، وتمنت لو توقف .

وقال لها ببرود :

- " هذه هي الغرفة التي انوي المبيت فيها . هذا ماكنت افعله على الدوام ، ولست اري مبررا لتغيير ذلك ، لمجرد انك قررت إنهاء زواجنا من طرف واحد " . كان قد خلع قميصه ، وعادإلى الجلوس على حافة السرير ، في تجاهل لها ، واخذ يخلع حذاءه الذي يبرق لمعانا وردت وهي تتجه نحو الباب :

- " إني سارتب سريرا في الغرفة الاخرى " . ولم يرد ، وبدا يخلع فردة الحذاء الاخرى حينما استدارت له تعض شفتها :

- " لاتكمل خلع ملابسك حتى ارتب لك السرير " فهز كتفيه وقال :

- " ليس لي ، إنني سانام هنا " .

وصرخت فيه :

- " كفى ! " واتجهت إلى ملابسه المكومة بعناية ، وجمعتها في يدها وقالت :

- " هيا ، ستنام في الغرفة المجاورة " .

قال :

- " يمكنك ان تنامي حيث تريدين ، اما انا فسانام هنا " ووقف يخلع بنطلونه مسببا وخزة إنذار عنيفة . فتخلت عن الصراع وولت هاربة ، ملقية بالملابس على الأرض وهي تجري . ولم يتحسن مزاجها وهي تسمع قهقهته بينما هي تغلق الباب .

واخذت ترتب السرير وهي مشتعلة بالحنق واليأس تجاهه ، شاعرة بكراهية له بسبب نظرات التهكم التي كانت تطل من عينيه وهو يخلع ملابسه . كان ذلك رقصة "ستريتيز" معكوسة ، يعذبها بها . فإن كان "اوليفر" زوجا متباعدا الآن فإنهما كانا في بداية زواجهما زوجين عاشقين لاقصى حد ، وهو يعلم جيدا كل شيء عن ردود فعلها الحسية.

ويعرف تماما ما يفعله بها ، بتوقيت اشبه بمن يلقي بالحراب على فريسة لاحول لها .

وكانت في قمة الإرهاق ايضا ، وتثاءبت بغضب وهي تسوي الحشية المخملية حينما لمحت صورة "اوليفر" منعكسة " على مراة التسريحة . كان متكئا على الباب وجسده السامق الرشيق مغطى إلى حد ما بالبيجامة الحريرية السوداء ، مفتوح نصفها الاعلى، فظهر منها عضلات صدره القوية وكتفاه . وقد ازعجها ظهوره ، اما ما ازعجها اكثر فكانت الصورة التي راها عليها ، وهي منكبة تسوي فراشها ، وجسدها الذي لايستره سوى الملابس الداخلية الشفافة .

وتصلبت وهي تستدير لتواجهه بكل عداء :

- " اخرج من هنا ! اتريدني أن استعمل العنف لاعبر لك عن رايي ؟ "

فابتسم لها بخبث :

- " لقد احضرت لك شيئا تركته في غرفتي " واخرج لها من وراء ظهره مضرب الجولف واستطرد ساخرا :

- " لقد فكرت انه ربما تكونين اكثر امنا مع هذا الشيء بجوارك ولم تكن ستمد يدها لتتناوله ، ومن ثم اكتفت بالحملقة في "اوليفر" . وانتظر وهو لايزال يمد لها يده بالعصا . ثم قال ساخرا :

- " ماذا ؟ " اخائفة ان تاخذيه ؟ " فخطت إلى الأمام وجذبته منه بعنف ، إذ لم تكن تريد ان تبدو خائفة منه . وتمتم :

- " باللادب " . فردت عليه :

- " ارجو ان تكون قد لاحظت ثقل الحديد بها ... واي رجل يدخل هنا سيتلقاها على أم راسه " .

قال "اوليفر" :

- " في هذه الحالة ، ساخذه منك " وجذبه من يدها ، والقاه على كرسي ، وامسكها من كتفيها وقال :

- " لقد تغافلت عن ان تشكريني "

ودق قلبها كالمجنون ، وبدات تقول في ياس :

- " إياك ان .. " ولكن شفتيه اغلقتا شفتيها قبل ان تكمل تهديدها . وانفرجت شفتاها تحت ضغط شفتيه ، وشعرت بعينيها الخائنتين

تنغلقان واصبحت الرغبة تسري داخل كيانها ، وتسربت اهة انفعال من حنجرتها .

وسرت رعدة في بدنها ، وامسكت راسه بيدها ، متخللة شعره باصابعها ، وبادلته قبلاته بحرارة ، بينما يدها الاخرى تطوق عنقه في حب وهيام .

وتساءلت متحيرة ، هل لو كان على علاقة بامراة اخرى ، اكان يحمل لها كل هذا الحب ؟

وانتابتها موجة من الحيرة المريرة ، ربما يكون قد وضع عمله في المقام الأول فكان مشغولا عنها طوال تلك المدة ، ولكن دون ان ينال ذلك من مقدار حبه لها ، وان صدمة فراقها له قد غيرته ؟

واخرجها من جو التالف الذي بدا يسود بينهما رنين مزعج لجرس الباب ، فجفلا معا ، ثم نظر "اوليفر" إليها وتساءل :

- " من يكون هذا بحق الجحيم " فردت في وجوم :

- " إنه جرس الباب " قال :

- " اعلم ذلك ! " ثم سال من بين اسنانه ، والرنين يزداد إلحاحا :

- " هل تنتظرين احدا في هذا الوقت ؟ " فحملقت فيه غير فاهمة .

- " إني لا انتظر احدا ! " ونظرت إلى الساعة في دوار ، وكانت الثانية صباحا تقريبا ، ثم ادارت راسها لوجه "اوليفر" المقطب وفهمت مايعني ، فاحمر وجهها :

- " ما الذي تقصده بسؤالك ، من انتظر ؟ "

- " إنك تعرفين ما اقصد "

- " كلا ، فليس من عادتي دعوة احد في انصاف الليالي "

وعاود الجرس الرنين بصورة اعلى ، وحملق فيها "اوليفر" وهو يلملم بيجامته حوله وقال من بين اسنانه بسخرية :

- " الا يكون "مات" ؟ " فردت بتلعثم :

- " كلا ، لن يكون " . وامسكت بغطاء السرير تلفه حول جسدها المنتفض وقد تكومت عليه تراقبه وهو يكشر عن اسنانه لها :

- " من غيره سياتي في هذه الساعة ؟ "

ونظرت إليه في كراهية وصرخت :

- " لماذا لاتجيب الباب لتعرف طالما الطارق لاينوي الانصراف " .

وكان الرنين قد اصبح متصلا ، بل واخذ يصاحبه طرق شديد على الباب واستدار على عقبيه ونهب ، وبدات هي تسوي ملابسها ثم خطت على أطراف اصابع قدميها واتجهت إلى باب الحجرة تتنصت ، وسمعت الباب الخارجي يفتح ، وصوت رجل يتحدث ، ولكن لم تميز الحديث .

كان هناك امر يؤكد ، انه ليس "مات" . وبدا صوته مالوفا بصورة غامضة ، ونو جرس محلي اللهجة ، واتجهت في هدوء إلى درابزين السلم الداخلي واتكات عليه تصيخ السمع ، وتعرفت على الصوت ، ولكن ما الذي اتى بشرطي القرية في هذه الساعة المتاخرة ؟ وجاءتها نغمة الصوت نعمة خفيفة ومهذبة :

- " لعلمي انكما في لندن ياسيدي ، فإنني كنت اراقب المنزل باستمرار ولذا اردت ان اتحقق من الامر حينما رايت الانوار في المنزل . ولقد رايت سيارة بالخارج ، ولكن لم اكن متاكدا انها لك ، فعذرا إن كنت قد ازعجتك ياسيدي "

ورد "اوليفر" بادب جم :

- " لاعليك ياحضرة الضابط ، فانا شاكر لك هذه العناية في حماية منزلنا "

وعادت "فرانسيسكا" على اطراف اصابعها إلى حجرة النوم ، واغلقتها في هدوء ، واوصدت الباب بالمزلاج ، وانخرطت في الفراش واطفات النور ، وهي تسمع الباب الخارجي يقفل ، ثم يوصد دون ضجة ، ثم وقع قدمي "اوليفر" تصعد الدرج إلى ان توقف امام باب حجرتها ، يريد ان يفتحه فلا يستطيع . وسمعته يتنفس وعلمت انه يفكر كيف يدفعها إلى فتح الباب .

وقرع الباب ، ولم ترد هي

وسالها :

- " فران" .. افتحي، الا تريدين ان تعرفي من كان يدق جرس الباب ؟" انتظر برهة ثم استطرد :

- " لقد كان رجل الشرطة يعلم اننا غير موجودين ، فاخذ الشك

يساوره حينما راى الانوار بالمنزل . " واغمضت عينيها ورقدت بلا حراك .

وقال في صوت اجش :

- " فران" ، إني اسف ، لقد فقدت اعصابي بالنسبة لما قلته عن "مات" ، واخذ يدفع الباب ، ويزيد طرقاته عليه ، ويرفع صوته وقد ازداد هياجا من الغضب ، وابتسمت هي في الظلام .

- " لماذا لاتردين يا"فران" ؟ هل انت بخير ؟ إذا لم تردي فكيف اعلم انك لم تفعلي شيئا احمق . افتحي يا"فران" ، ودعيني اطمئن عليك "فقط. وتوقف منتظرا ، ولم تبد هي اية إشارة من اي نوع ، وحينما تكلم مرة اخرى كان صوته اعلى واكثر هياجا .

- " اتريدين ان احطم الباب ؟ إذا لم تفتحي فسافعل ذلك " . ورفضت ان ترد ، فإذا كان يريد ان يقوم بتصرف احمق ، فليفعل .

ورفس الباب الذي ارتج لذلك . وسمعته يلعن ويسب في صوت مكتوم ، إذ كانت قدمه عارية والباب من خشب الماهوجني ، وتمنت ان يكون الم له ذلك . وضحكت ، وساد الصمت في الخارج واخيرا قال :

- " اللعنة عليك " وهوى على الباب بقبضة يده فارتج ، ثم سمعته يتجه إلى غرفة نومهما ، حيث صفق الباب صفقة ارتج لها باب غرفتها متعاطفا . وتوقفت هي عن الابتسام واخذت تحملق في الظلام مدة طويلة ، وجسدها يفور من الياس ، وكان عزاؤها الوحيد ان "اوليفر" يعاني نفس الشيء .

واخيرا راحت في النوم حوالي الساعة الثالثة . وحينما استيقظت سمعت الطيور تغني في شمس الخريف ، المنزل هادىء . لابد انه مستغرق في النوم ، وعبست وهي تعض شفتها ، لان ملابسها في الغرفة الاخرى ، ولم تكن لتذهب إلى هناك لإحضارها . ثم تذكرت الحقائب التي كانت قد اعدتها بالطابق السفلي ، فانسلت من الفراش ، ووضعت الروب على جسدها ، ومشت بهدوء إلى الباب وفتحته ، وكان باب غرفته موصدا ، وتسمعت قليلا ثم نزلت بهدوء إلى حيث توجد حقائبها ، والتقطت بعض قطع الملابس وهرعت إلى الحمام واوصدت الباب خلفها .

واخذت دشا وارتدت ملابسها بسرعة ، واتجهت إلى المطبخ حيث اعدت لنفسها قهوة وشيئا من الخبز المحمص ، وكانت مستغرقة في افكارها حين دخل "اوليفر" المطبخ بعد عشر دقائق . كان في كامل ملابسه ايضا ، ليس بالصورة الرسمية كالليلة السابقة ، بل في ملابس عادية وكانت عيناه العسليتان نافذتين وهي تنظر إليه ببرود .

سالته وهي تمسك قدح القهوة بين يديها وقد رشفت منه رشفة :

- " اذاهب للجري ؟ " فرد باقتضاب :

- " عائد لتوي منه ! " وكان يجب ان تدرك انه كان في الخارج ، فشعره البني متطاير ووجهه محتقن ، ويتنفس بصعوبة .

واتجه إلى إناء القهوة واضعا عليه إصبعا يتحسس حرارته ، وقالت هي :

- " له عشر دقائق " .

ولم تتحرك او تعرض ان تجهز له غيرها .

فقال لها وهو يضغط على اسنانه :

- " أريد ان اتحدث معك . ساصعد لآخذ دشا ، وبعد ان اتناول الفطور، سنتحدث في هذا الامر. لست جائعا جدا ، مجرد بيضة مسلوقة وقطعة من الخبز المحمص وقهوة " .

ولم ترد "فرانسيسكا" ، مجرد رشفة اخرى من قدح القهوة ، ونظرة من فوق حافة قدحها ، لازوردية بريئة ، وتمعنها هو عدة لحظات ثم خرج وصعد الدرج .

وما إن سمعت باب الحمام يغلق ، حتى نهضت واتجهت إلى الصالة ، وجمعت حقائبها واخذتها إلى السيارة حيث وضعتها فيها بسرعة وعادت إلى المنزل صاعدة إلى غرفة النوم لتتاكد من انها لم تنس شيئا . وسمعت الدش يتوقف ، و"اوليفر" يتحرك داخل الحمام . وتسللت مغلقة الباب وراءها دون اي صوت .

ونظرت في مراة السيارة وهي تتجه بها إلى البوابة ، فرات وجه "اوليفر" ، يطل من نافذة الحمام وحتى على هذا البعد ، كان واضحا ما هو فيه من غضب .

ووصلت سالمة إلى شقتها في منتصف النهار ، إذ كان المرور في

اغلبه في الاتجاه المضاد . وطلبت "مات" لتتاكد من انه لم ترد له فكرة ان يذهب إليها في "ساسكس" .

- " لقد عدت إلى لندن ، وتركت "اوليفر" ورائي في "لامبورن" " واصدر "مات" صفيرا .

- " ومتى وصل إلى هناك ؟ "

- " الليلة الماضية إذ يبدو انه حل المشكلة التي كان بصددها ، وعاد طائرا على الفور " . وقال في صوت يبدو عليه الاهتمام :

- " ووجدك هناك ؟ وما الذي حدث ؟ " لقد كان إنسانا طيب القلب ، وشكرت له اهتمامه بها ، وكذبت عليه قائلة :

- " لم يحدث شيء " .

ضربة حظ صرفة ، تلك التي حالت دون ان يحدث شيء ، تدخل رجل الشرطة في اللحظة الحاسمة ، التي لولاها لربما كانت ثورتها قد خمدت . وهي تدرك ماكان سيعنيه ذلك ، كانت ستعود إلى سابق عهدها ، وكان شيئا لم يكن .

وقال "مات" :

- " اعتقد انه كان في منتهى الإرهاق ، ذهابا وإيابا إلى جلاسجو ومنها ، بعد التعامل مع الإضراب ، ثم قيادة السيارة إلى "لامبورن" في "ساسكس" ، كل ذلك في يوم واحد . لاادري من اين يستمد كل هذه الطاقة " .

وغمغمت :

- " ولا انا " . وبدت جافلة وهي تفكر في رغبته فيها بعد يوم كذلك ! ولم تكن قد فكرت في ذلك قبل الآن ، فقد كانت تاخذ طاقته الفياضة كقضية مسلم بها، ولكنها في هذه اللحظة فقط ادركت كم هو خارق للعادة . لقد كانت منزعجة من رد فعلها الغريزي تجاهه، حتى انها لم تفكر في احاسيسه هو . اعاد مشحونا بعد يوم من الإرهاق والجدال ، وكان يريد ان يفرغ تلك الشحنة معها ؟ اكان يريدها هي حقا ؟ أم كان يريد اي امراة كانت ؟

وكما توقعت ، دعاها "مات" للغداء ، ورفضت بلطف ، معتذرة بإرهاقها بعد رحلتها . وقالت قبل ان تنهي المكالمة :

- " أراك غدا " . " ثم جلست مدة طويلة تحملق في لا شيء ، تتمنى لو تفهم الدوافع الغريزية لـ"اوليفر" . في بداية عهدهما بالزواج كانت اصغر سنا من ان تسال مثل هذه الاسئلة ، وكانت متيمة به ، تعبد الارض التي يمشي عليها ، وما من مرة كان راغبا فيها إلا وكانت راغبة هي ايضا فيه . كان اكبر منها بالتاكيد . وكانت تعلم انها ليست حبه الاول ، بينما كان هو كذلك لها . ولم يحدثها تفصيلا عن هذا الامر ، ولم تساله هي لانها كانت لفرط حبها له لا تريد سماع قصص له مع اخريات ، ولكنه كان صريحا معها لدرجة إخبارها بان له تجارب مع نساء سابقات عليها ، دون ان تعنيه اية واحدة منهن . فقد كانت الوحيدة التي اراد الاقتران بها ، وكان ذلك مصدر سعادة غامرة لها حتى انها نفضت الماضي عنهما . فكل ما كان يعنيها انه قد اصبح خالصا لها الآن ، ومن ثم جعلت من نفسها الزوجة التي يرغبها "اوليفر" ، دون ان تسال نفسها عن نوع الزوج الذي تريده هي . فلماذا تسال ذلك ، ولديها الزوج الكامل بالفعل ؟ وادركت فجاة ، انها رفعته إلى مكانة عالية ، تقبل كل مايقول على انه الصواب بعينه ، وانها لم تره على حقيقته في الواقع ، فكيف يمكنك رؤية شخص في مكانة عالية جدا عنك ؟

وهذا ما ستقوم به ، فقد ان الاوان للقيام به ، وإن كان زواجهما سيقدر له ان يجتاز هذه الازمة ، فإنها و"اوليفر" سيبدان النظر إلى الامور بطريقة مغايرة .

وكان من الطبيعي ان تشعر بشيء من عدم الثقة صباح اليوم التالي وهي تدخل مبنى الشركة وتقدم نفسها لموظف الامن ، ولكنها ذكرت نفسها وهي تتجه إلى المصعد ان "مات" سياخذ بيدها في الايام الاولى من العمل ، ولن يكون الرئيس الصارم بالنسبة لها ، وهو السبب الذي من اجله لجات إليه هي بالذات ، فلم يكن لها ان تعمل في الإدارة التابعة لـ"اوليفر" ، وسط ذلك الخضم من الفتيات اللواتي على اكبر قدر من الكفاءة والمهارة ، وكلهن اصغر بكثير . إن لديها بعض المعرفة باعمال السكرتارية ، فهي تكتب على الآلة الكاتبة ، وتعرف الاختزال وإمساك الملفات والدفاتر التجارية ، كما انها ، والفضل في ذلك لابنها

"جون" والسنوات التي قضتها مع "اوليفر" ، تعرف الكثير عن الحاسبات الآلية ولن تجد صعوبة في تشغيل الأطرزة التي تنتجها الشركة منها .

ورغم ذلك فهي لم تعمل في مكتب منذ عدة سنوات ، وامامها الكثير لتتعلمه ، وهي محتاجة إلى صبر "مات" عليها . ورسمت على شفتيها ابتسامة مشجعة وهي تدخل المكتب ، ولكن "مات" لم يكن هناك ، وإنما كانت سكرتيرة "اوليفر" هي الموجودة ترتب اكواما من المراسلات على مكتبه .

وتوقفت "فرانسيسكا" متصلبة . ورفعت إليها "جانيس سيلفستر" عينيها ببرود وقالت :

- " صباح الخير " ثم نظرت بحدة إلى ساعتها ، ونظرت "فرانسيسكا" إلى ساعتها ايضا ، ولم تكن قد تاخرت ، كانت الساعة قبل التاسعة بقليل ، وطلب منها "مات" ان تحضر في التاسعة .

وقالت "جانيس" بصوتها المعسول :

- " المفروض ان تكون السكرتيرات على مكاتبهن في التاسعة بالضبط " . ورسمت على شفتيها ابتسامة اشبه بجبل الجليد ، وشعرت "فرانسيسكا" وكانها الباخرة "تيتانيك" تحاول تفادي الكارثة :

وردت "فرانسيسكا" وعقارب ساعة يدها تاخذ وضع التاسعة تماما :

- " هاهي ذي الساعة التاسعة ... بالضبط ! " ثم وجهت لـ"جانيس" ابتسامة مرحة من جانبها وقالت :

- " وانت الآن على مكتبي ، الامر الذي لايتيح لي ان اكون عليه " .

- " إنني التي ترتب مراسلات "مات" منذ سنوات طويلة . وكانت نغمة صوتها توحي بانها تنوي ان تستمر في ذلك ، رغم تعيين "فرانسيسكا" .

- " والآن انا هنا لاحمل عنك هذا العبء المزعج ، فانا اعلم كم انت مشغولة " ونظلت "جانيس" جالسة إلى المكتب ، تنقر عليه باظفارها الطويلة المخضبة ، وقد تجمدت الابتسامة على وجهها ، ولم يقلل هذا جمالها ، فهي غاية في الجاذبية بهذا الوجه الفتان ، والهالة المشتعلة من شعرها . لقد كانت "جانيس سيلفستر" من اولئك النسوة اللواتي

لايحبين جنسهن ، من النوع الذي يطلق عليه – المراة المسترجلة " . لقد كانت تشع بالجاذبية . إلا أن عقلها كان متوقدا ايضا ، وكم ذكر "اوليفر" هذه الحقيقة ، وصدقتها "فرانسيسكا" . فهاتان العينان العدائيتان كانتا تشعان بالمهارة والقسوة ، عينان قدتا من الماس لامجال للرقة فيهما ، ورات "فرنسيسكا" انها تستخدم جنسها كسلاح لها .

– " قبل أن أغادر المكتب، أود أن اطلعك على نظام العمل اليومي . من الافضل ان تبدئي بالخطابات ، بان تلقي عليها نظرة سريعة ، وترتيبها بالصورة التي ترين انها الافضل عند العرض على "مات" ، وإذا اراد إرسال رد ، فسجلي ذلك بالاختزال ، اودعيه يسجله على جهاز إملاء الخطابات إذا كان يريد إرجاء ذلك إلى وقت اخر . واكتبي اي خطاب مطلوب إرساله على الفور "

وتوقفت تلتقط انفاسها ، وفتحت "فرنسيسكا" فمها لتسال سؤالا ، ولكن قبل ان تنبس بنبت شفة ، كانت "جانيس" قد بدات تسترسل :

– " وستقومين بداهة بالرد على المكالمات ، ولاتفارق عيناك الة الفاكس ولا الكمبيوترات الداخلية . إذا وردت رسائل على اي منها فاطبعيها على الفور وضعيها في ملف ليطلع عليها "مات" في اقرب فرصة ، ولا تتهاوني في ان تجعليه يطلع على كل الرسائل بطبيعة الحال ، كما يجب عليك ان تحفظي اي شيء يطلب منك "مات" حفظه في ملفه الخاص ، او يتركه ملقى هنا او هناك ، فهو كثيرا مايفعل ذلك، فليس لديه اي إحساس بمتطلبات السرية . ويجب عليك عدم مغادرة المكان قبل ان تتاكدي من ان كل دولاب لحفظ الملفات قد اقفل تماما ، واية ورقة مهما كان شانها قد حفظت في مكانها . فهذا المكان هو العقل المفكر للشركة ، كما يقول ذلك "اوليفر" ... "مستر رانسوم" ورمشت عيناها حين نطقت باسم "اوليفر" ، ثم اسبلتهما لحظة ، وهي ترمق "فرانسيسكا" بسرعة خلال اهدابها وكانت قد فعلت ذلك عن عمد ، بحسب ما اعتقدت "فرانسيسكا" التي شعرت بصدرها يموج بالغيرة والشك . لقد ارادت ان تخبرها بانها تستخدم الاسم الاول ، وإنه ليس مجرد رئيس لها .

وتظاهرت "فرانسيسكا" ، وهي تقاوم لتخفي مشاعرها ، إنها لم تلاحظ زلة اللسان تلك ، وقالت :

– " انا متاكدة من مقدرتي على القيام بكل ذلك " . رغم انها كانت تتمنى لو كانت قد وعت نصف مقالته "جانيس" . لقد القت بحديثها بسرعة خاطفة ونبرة حاسمة ، دون ان تتوقف لتعطيها فرصة لطرح اي سؤال ، ولكن "فرانسيسكا" كانت على استعداد لتلقي الموت على ان تبين لهذه المراة انها لم تفهم كل حرف مما قالته ، او انها لن تتذكره بحذافيره ، او انها تشك لحظة في مقدرتها على القيام بالعمل .

لقد اتركت "فرانسيسكا" من لحظة دخولها المكتب ورؤيتها الراس ذا الشعر الاحمر منكبا على المكتب ، ان هذه المراة لاتريدها في الشركة . وحدثتها نفسها إنها تريدني ان انكفيء على وجهي ، ولكني لن افعل ، سانهض بالعمل، وساتجزه بكل مهارة ، ولو قتلت دونه ، وعلى "جانيس سيلفستر" ان ترفع شباكها عن زوجي ايضا ، فـ"اوليفر" رجلي، وان الاوان ان انكرها بذلك .

وابتسمت لها في مرح :

– " شكرا لك على معاونتك ، ساخبر زوجي كم كنت طيبة معي ، يالانسة "سيلفستر" والقت نظرة على ساعتها ، ثم اضافت:

– " ياإلهي ، على ذكر زوجي ، إنها الان التاسعة والربع تقريبا يالانسة "سيلفستر" ، وهو قد يعتقد انك تاخرت ، والافضل ان تهرعي إلى مكتبك الآن".

وحدقتها بنظرة ملأى بالحقد ولكنها غادرت المكتب على عجل دون كلمة اخرى، وجسدها رائع التقاطيع يهفهف عبر الباب ، وحملقت فيها "فرانسيسكا" بكراهية وهي تكز على اسنانها ، ثم وانتها فكرة ، فالتقطت السماعة ، وادارت رقم "اوليفر" .

ورد بصوت حازم لدى اول رنة من الجرس : – " نعم ؟ "

ورغم انها تعرف صوته تماما ، كما يعرف هو صوتها ، فقد تظاهرت بانها تريد التاكد :

– " اوليفر ؟ " وصاح في دهشة :

– " فرانسيسكا" ، اين انت ؟ " قالت :

- " في مكتب "مات" " . ثم اضافت بسرعة :

- " اريد ان اشكرك على إرسال الآنسة "سيلفستر" لي لتبين لي الأمور. لقد كان لطيفا منك ان تفكر في ذلك " .

وسادت لحظة صمت ، ثم قال :

- " لاعليك ، ارجو ان تكون قد قدمت المعونة اللازمة " .

إنه لم يكن يعرف ان "جانيس" قادمة إلى هنا ، ولم يرسلها هو كما توقعت هي ، ولكنه لم يكن ليعترف بذلك ، لانها طلبته لتشكره ، وهو انتهازي كاي رجل غيره ، ولكنه سيشك في دوافع "جانيس" للقيام بذلك، وهذا بالضبط ما ارادته هي ! فقد لايدرك "اوليفر" مدي طموح سكرتيرته ، إنه بقدر مهارته في شئون إدارة الأعمال، فهو غاية في الغفلة في فهم النساء .

وسألها :

- " هل تتناولين الغداء معي اليوم ؟ " وابتسمت هي لنفسها

- " لا اعتقد انني ساخرج للغداء اليوم ، اريد ان اتعود على جو العمل ، ولذا فقد احضر بعض الشطائر " .

- " تعالي نتناولها معا في مكتبي " .

- " اسفة يا "اوليفر" ، مامعي لايكفي إلا لشخص واحد " .

- " سارسل "جانيس" لتشتري مزيدا من الشطائر إذن " .

وضحكت في رقة :

- " اطلب مني ذلك في يوم اخر " . وبحركة الية ، مدت يدها لشعرها تسوي الخصلات الذهبية المصففة في تسريحة "الشنيون" ، وعيناها تشعان سرورا ودلالا . يالهؤلاء الرجال ، احرمهم شيئا وسيقلبون الدنيا راسا على عقب للحصول عليه ، ولكن ما إن يتعودوا عليه حتى ينسوه شهرا بعد الآخر . لقد ناقت إلى ان تجيبه إلى طلبه ، فهي تريد رؤيته بإلحاح ، ولا تنسى مادار بينهما يوم السبت الماضي ، وظلت تكراه تساور احلامها طوال الليلتين الماضيتين مما جعلها تتحرق من فرط الياس، ولكنها تعلم انه لم يئن الأوان لان تستسلم ، فـ"اوليفر" لم ياخذها ماخذ الجد بعد ، وعليها ان تتذرع بالحزم .

وسمعت طرقعة لدى الباب ، فرفعت بصرها محملقة في دهشة .

وكان "مات" يحملق فيها ايضا كما لو كان غير متوقع وجودها هناك :

- " يجب ان انهي المكالمة يا"اوليفر" ، فـ"مات" يريدني " .

فرد في صوت اجش : " اللعنة على "مات" ، لايحق له ان يريدك " .

وضحكت كما لو كان الأمر مسليا :

- " كفي غباء ! إنك تعلم ماأعني ، باي " ووضعت السماعة وابتسمت لـ"مات" عبر الحجرة :

- " صباح الخير ياريس" وكانت ابتسامتها مشرقة ، وعيناها تتراقصان :

" يبدو عليك انك نسيت اني سابدأ عملي اليوم " . ورد باسي :

- " فعلا ، إنه يصعب علي تصور ذلك ، ولذا فقد جفلت حينما رايتك هنا " وقهقهت قائلة :

- " اعلم ، لقد قرات ذلك على وجهك وضحك "مات" ايضا . وجلس إلى جوارها يهز راسه .

- " إن هذا امر لا يصدق ، ولكنه يعجبني اهلا بك يا " فران" ، اتمنى ان تستمتعي بالعمل هنا "

قالت :

- " انا متاكدة من ذلك " . لقد قررت ان تستمتع بالعمل هنا ، وان تبقى ، ومن الافضل لـ"اوليفر" و"جانيس" ان يدركا انه مامن قوة ستخرجها من هنا .

الفصل الخامس

اكتشفت "فرانسيسكا" سريعا أن "مات" كان مخطئا في اعتقاده انه غير محتاج إلى سكرتيرة خاصة ، إذ إن إحدى العاملات في السكرتارية كانت تقضي ساعات ، يوميا في مكتبه لإدارة أعمال المكتب اليومية ، تراقب آلة التلكس ، والفاكس وأجهزة الكمبيوتر المتقدمة المرصوصة على جوانب حوائط الغرفة المطلية باللون الرمادي المفضض، وحتى "أوليفر" لم يكن يدرك مدى ماتقوم به سكرتاريته من خدمات لـ"مات" ومدى تفانيهن في القيام بذلك . ولكنهن جميعا رحبن بـ"فرانسيسكا" أيما ترحيب .

ربما لاتريدها "جانيس" ، ولكن بقية البنات سررن لأن يتولى شخص آخر عبء أعمال مكتب "مات" وقدمن لها كل مساعدة عن طيب خاطر لتستقر في عملها . وبدأت تتشرب العمل يوما بعد يوم حتى باتت تجد وقتا فائضا لديها . ولما كانت من الطراز الذي لايحب الجلوس بلا عمل ، فقد أخذت تصاحب "مات" في غرفة عمله . وكان دائما منهمكا في عمله ، لدرجة أنه قلما كان يدرك وجودها في غرفته . وكانت غرفته

مجهزة بطاولة طويلة تتكدس عليها لوحات التشغيل ، واجهزة العرض، والعديد من مكونات أجهزة الكمبيوتر وبرامجه ، وفي جانب من الغرفة طاولة للرسم ، يجلس إليها حينما يكون لديه تصميم يريد أن يعمل مسودة له قبل أن يبعث به إلى شاشة العرض ليأخذ في التعديل والتبديل إلى مالا نهاية ، مستغلا إمكانات الكمبيوتر الساحرة في التعامل مع الرسومات .

ولم يكن "مات" يجلس على كرسيه بقدر ما كان يمتطيه . كان كرسيا من الجلد يمكن أن يميل في أي اتجاه ، وذا عجلات ، وكان "مات" يمتطيه كحصان حيث يجول به في كل أنحاء الغرفة ، كان يبدو لها كطفل صغير وهو ينطلق في سعادة على طاولة العمل ، وذيل معطف معمله يهفهف وراءه فإذا ماكلمته ، فغالبا مالا يسمعك ، وإذا ماجذبت انتباهه أخيرا ، فإنه يحملق فيك كما لو كنت تتكلم لغة أجنبية . إن "مات" حينما يعمل ، يكون في عالم آخر ، وقد يثير ذلك فيه بعض الغيظ ، ولكن يجعل منه رئيسا يسهل العمل معه ، ليس بالطاغية المكتبي على الإطلاق .

وكانت "فرانسيسكا" مفتونة بالحواسب الآلية ايضا ، ومالبثت أن اعتادت قضاء اغلب اوقات بعد الظهر مع "مات" ، في البداية كمراقب صامت ، ثم بالتدريج كيدين إضافيتين له . فما إن تنبه "مات" لوجودها بجواره حتى بدأ يطلب منها اشياء تنجزها ، وشيئا فشيئا اصبحت منغمسة في آخر تصميماته كشأنه تماما .

وقد اثارت كثيرا من الفضول لدى بقية العاملين بالتأكيد ، فهي زوجة رئيسهم ولكن لا تعمل معه بل مع شريكه ، إضافة إلى أن "جانيس" لم تدخر وسعا في نشر معلومة انها لم تعد تعيش مع زوجها، واختلفت ردود الفعل حولها . تعاطف معها البعض ، ولم يخبئ البعض الآخر عنها رأيهم فيها كمغفلة ، ان تهجر الحياة الرغدة لتعمل في مكتب . اما بالنسبة للرجال ، فقد كانوا إما متحفظين ومتنبهين كلما مرت بهم ، او يتعاملون معها بمكر وسوء نية ، وهؤلاء كانت ترد على محاولاتهم التودد إليها بذكر اسم "اوليفر" بصورة او بأخرى ، وكان هذا كافيا لإبعادهم . اما "جانيس سيلفستر" ، فلم يكن

التعامل معها أمرا سهلا .

لقد ركبها الغرور ، وجاهرت بالعداء ، ليقينها ان زواج "اوليفر" بها قد انتهى. كانت تحتقر "فرانسيسكا" ولاتخفي ذلك ، فهي بمعيار المرأة الذكية ، كانت في غاية الغباء - إذ إنه من الخطأ الفاحش ان تسيء تقدير عدوها . ولم تكن "فرانسيسكا" لترتكب ذلك الخطأ ، وهذا هو سبب وجودها في لندن .

وقد حدث ذات مرة ، أن دخلت "جانيس" اثناء فترة تناول الغداء ، ووجدت لديها بعضا من السكرتيرات يتناولن معها الشطائر و"مات" غير موجود . فسألت ببرود :

- " ما الذي يجري هنا ، إنكن ايتها الفتيات يجب ألا تكن هنا " .

وردت "باتي" ، إحدى كاتبات الآلة ، مقطبة :

- " إنه وقت الغداء " . واكملت "فرانسيسكا" رافعة ذقنها وعيناها الزرقاوان متقدتان بالغضب :

- " وانا دعوتهن . كانت تعلم أن "جانيس" تتعمد تحقيرها أمام الآخرين . من تظن نفسها ، عليها اللعنة ! وقالت "جانيس" في نغمة كقرقرة القطط :

- " هل استأذنت "اوليفر" ... مستر "رانسوم" . وكانت تذكر اسم "اوليفر" الأول هذه المرة لخاطر البنات وليس لخاطر "فرانسيسكا" .

وردت "فرانسيسكا" بحسم :

- " لست محتاجة إلى إذن زوجي لدعوة أحد لتناول الغداء معي في مكتبي" . وردت قهقهة "باتي" . واخترقتها نظرات "جانيس" كالخناجر . وكانت تعلم ان بقية البنات يبتسمن لأن "فرانسيسكا" أفحمتها ، ولم تكن تسمح لنفسها ان تخسر هذه الجولة .

- " إنهن يحتجن إلى موافقتي للحضور إلى مكان عالي السرية كهذا المكان إن مستر " رانسوم" متشدد في متطلبات الأمان لقسم الأبحاث ، خصوصا في حالة عدم وجود مستر "كيلنر" فالشركات المنافسة لها إمكانات لايستهان بها في التجسس الصناعي " .

وردت "فرانسيسكا" بهدوء :

- " إنها فكرة زوجي في الواقع ان احضر الفتيات ليوضحن لي

العمل " . وحملقت فيها "جانيس" بوجه محتقن ، "وردت بغضب " حسنا ، لا اعتقد انك مؤهلة لهذا العمل ، مهما قدم لك من مساعدة ولكني اريدهن على مكاتبهن ، وإلا واجهن المتاعب " . واندفعت منصرفة شامخة الراس ، وانفجرت "فرانسيسكا" ضاحكة .

وبدا القلق على وجه "باتي" وقالت :

- " فران" ، اعرف انه ليس من شاني ، ولكن انتبهي لـ"جانيس" ، فهي إنسانة شريرة " . فهزت "فرانسيسكا" كتفيها قائلة :

- " دعك منها ، ماذا كنا نقول عن حفلة سكنكما الجديد يا"هيثر؟ " .

وردت "هيثر" على الفور :

- " الليلة ، حوالي السابعة . لقد انتقلنا انا و"تيد" الاسبوع الماضي وهو اول مسكن حقيقي لنا . لقد كنا نستاجر الشقق ، ولكن هذا المسكن ملكنا ، إنه بديع يطل على النهر مباشرة ، وقد انتهى البناءون من إنشائه " .

وقالت باتي : مملكة لشاب طموح وردت هيثر بروح عالية : إننا نحبه حبا جما .

وقالت "باتي" :

- " إن "تد" يعمل بالمدينة " وابتسمت "فرانسيسكا" لـ"هيثر" قائلة :

- " يبدو ان عمله مجز " قالت :

- " أو ، إنه كذلك ، إنه يكسب منه جيدا . هل ستاتين ؟؟ احضري معك صديقا" وقالت باتي" ، حينما رات تردد من جهة "فرانسيسكا" :

- " إنها لم تدع "جانيس" ! وليس لك ان تخشي مقابلتها هناك " فردت بحدة

- " لست اخشى مقابلتها في اي مكان " ورات الفتاتين تتبادلان النظر .

وقالت "باتي" بعناد :

- " يجدر بك ان تكوني كذلك " .

وصاحت بها "هيثر" :

- " باتي - صه " . سالت "فرانسيسكا" :

- " ماذا تقصدين ؟ " فنظرت "باتي" إلى "هيثر"

وقالت "باتي" لرفيقتها :

- " حسنا ، إذا لم تعجبك طريقتي في إخبارها ، فاخبريها انت " .

واحمر وجه "هيثر" .

كانت فتاة وتودا ذات شعر بني وعينين زرقاوين صافيتين وقلب غاية في الطيبة . وكانت متزوجة منذ عام ، وفي بداية العشرينات من عمرها ، وكانت تنفر من ان تتدخل فيما يجري بين مستر "رانسوم" وزوجته .

اما "باتي" فكانت في الثامنة عشرة ، ولا تحدها مثل تلك الاعتبارات ، ومن ثم اندفعت ، و ترددت رفيقتها بالقول :

- " إن "جانيس" متيمة بمستر"رانسوم" وتدخلت "هيثر" على الفور وقد انتابها القلق :

- " ولايظن احد انه معجب بها ، على الرغم من ذلك . فلا تسيئي الظن " . واستدارت لتواجه عيني "باتي" العسليتين الطفوليتين الصريحتين .

وقالت "باتي" برنة اسى :

- " ليس للرجال مقدرة على مقاومة الإغراء " .

فقالت "هيثر" لـ"فرانسيسكا" :

- " لا تلقي بالا لما تقول . فمستر "رانسوم" لايكرر النظر لاحد مرتين . إني متاكدة ان الامر لايعدو الاقاويل "

إذن فهناك اقاويل ؟ فكرت "فرانسيسكا" في ذلك فغاص قلبها . إنها لم تكن تتخيل إذن ان هناك شيئا مابين "اوليفر" و"جانيس سلفستر" . واختنق حلقها حين شعرت بالمهانة . إنه امر سيء ان يخدعها ، ولكن الأسوء منه هو ان يكون ذلك مشاعا بين الجميع .

واستطردت "باتي"

- " بعض الناس يرغبون دائما النقاط ما في يد الغير . و"جانيس" تلعب بقلوب الرجال ، ولا يرضيها ان تفوز في تحد تافه ، بل إن مايرضي غرورها اكثر هو ان تسرق رجلا من زوجته " .

واسرعت "هيثر" وهي ترمق وجه "فرانسيسكا" الشاحب :

- " هذا لو استطاعت ! ولكن مستر "رانسوم" احصف من ان ينساق

وراءها".

وقفزت الفتاتان حينما دخل "مات" عائدا من جولته اليومية ، يلهث قليلا ، ويتصبب العرق من جبهته ، والقى بنفسه على اقرب كرسي قائلا :

- " إن العطش يكاد يقتلني ".

ونهضت "فرانسيسكا" قائلة :

- " ساحضر بعض الماء " . ونظرت إلى الفتاتين مبتسمة وهما تتجهان إلى الباب ، بعد ان دفعت لها "هيثر" بقصاصة من الورق قائلة :

- " هذا هو العنوان ، وارجوك الحضور الساعة السابعة " . وردت هي

- " سوف احاول ".

وسالها "مات" بعد انصرافهما :

- " من هما ؟ " وناولته "فرانسيسكا" كوبا من الماء المثلج وهي تقول :

- "هيثر" و"باتي" وسالها :

- " هل اعرفهما " .

- " إنهما تعملان في مكتب "اوليفر" ، وقاما بالكثير من الاعمال ايضا في مكتبك يخيل إلى احيانا انك تسير مغمض العينين "

- " ليس في المرور " وقهقه معجبا بنكتته . فقالت له مداعبة :

- " لست اكثر من تلميذ مدرسة في مشاعره ".

ومد هو يديه يمسكها من خصرها ويشدها إليه ويقول مبتسما :

- " لا تقولي هذا مرة اخرى " .

ومدت يدها تدفعه عنها ، فامسك بها وقد توقف عن الضحك ، ثم طبع قبلة على راحة يدها وهمس :

- " فران " ... " ونظرت إليه في قلق واضطراب ، مدركة ان الامر تجاوز حد المزاح البريء ، لقد كان جادا ، ولم تر تلك النظرة في عينيه من قبل ولم يسمع اي منهما الباب وهو يفتح ، ولكنهما سمعاه يصفق ، ورفع "مات" راسه ، وتصلب ، دفع "فرانسيسكا" عنه ،

فاستدارت بعنف وهوت على الارض . وكانت سقطة عنيفة اطلقت صرخة من حلقها . وغمغم :

- " اسف يا "فران" . هل اصبت باذى ؟ دعيني اساعدك " . ونهضت قبل ان يمد لها يد المساعدة ، وحملقت في وجه "اوليفر" المتغضن من الغضب .

- " اسف ان اقطع عليكما هذه اللحظة العاطفية " ودت لو امكنها الفرار لصيحته تلك ، وبدا ان غضبه يملأ الغرفة كلها .

وابتلع "مات" ريقه ، ولكن لم يتراجع :

- " اعلم كيف يبدو الأمر لك ، ولكن لا تسئ الظن " .

- " سارياك جيدا كيف يبدو الأمر " . وخطا في اتجاهه

وقال "مات" بغباء :

- " لقد كنا نتمازح فقط "

- " تتمازحان . اهكذا تصف الامر " . وتلاحقت انفاسه في صعوبة ، بينما ضم قبضتي يديه .

ونهرته "فرانسيسكا" بعنف قائلة :

- " لاتستعرض عضلاتك امامنا " . واستدار إليها والشر يتطاير من عينيه . وشعرت بقلبها يكاد الدم ينفجر منه ، ولكنها وقفت متحدية ، رافعة راسها قال "اوليفر" من بين اسنانه :

- " يبدو انك نسيت انك لاتزالين زوجتي وان هذه شركتي التي تعملين بها ! ماذا لو دخل احد العاملين وضبطك مع "مات" ! إن الشركة تموج بالاقاويل بما فيه الكفاية .

- " لا اريد ان تعلم الشركة كلها بعلاقتك مع "مات" .

وردت في غضب :

- " ليس بيني وبين "مات" اية علاقة ، رغم انه لو اردت انا ذلك لكان هذا من شاني وليس من شانك ، إنك تطير عبر الدنيا كلها مع "جانيس" لسنوات ، فلا يحق لك ان تلقي لي موعظة في الإخلاص والأمانة " .

وتصلب جسد "اوليفر" ، وانصبت نظراته عليها وقدران عليهما القلق ، وكرر ببطء "جانيس ؟" وحملقت "فرانسيسكا" في عينيه ، ورات وميضا غريبا فيهما . لم يكن "اوليفر" قد اخذ هذا الاتهام المستتر

بسهولة ، بل كان مهتما جدا بما قالت ، منتظرا ان يسمع المزيد ، ليعرف مقدار ماتعرف اوتظن . لهذا كان ماهرا في دنيا الاعمال ، فلديه غريزة قوية في ستر خبيئة نفسه ، والتقاط افكار واحاسيس الآخرين. ولذا فسيجعلها تخرج ما في باطنها قبل ان يدعها تطلع على اي شيء مما يدور في داخله .

وقالت بخشونة :

- " لست عمياء ، إنني اعرف مايجري ، ولن اقبل التلاعب بالمبادئ . إنني لااطلب منك اعترافا ، ولا اريد ان اسمع شيئا عن الموضوع ، ولكن لاتندفع إلى هنا كالصاعقة تهددني و"مات" بما تفعله انت ، يعلم الله إلى كم من الوقت "

وظل "اوليفر" لا ينبس بكلمة ، بل ظل واقفا وعيناه حادتان تومضان. وجسده متوتر ، ويكسو وجهه قناع داكن من التقلصات . وتساءلت بمرارة وقد اوشك ان ينكر ، كذبا عليها . ولو اقدم على ذلك ، فستزداد كراهيتها له .

وكان الضيق باديا على وجه "مات" ، يبدل قدما بعد اخرى فالحديث يزداد خصوصية ، وبدا يتجه إلى الباب ولمحته "فرانسيسكا" ، فامسكت بيده قائلة :

- " لاتذهب يا"مات" . إنه هو الذي سينصرف " ووجه "مات" نظرة عصبية لـ"اوليفر" ، فجاوبه عليها بابتسامة مهددة اثارت الرعدة في بدنه .

وقال :

- " لن انصرف ، فالمحادثة قد بدات تصبح طريفة . فلتذهب انت يا"مات" ، ولتاخذ دشا تهدئ به نفسك وتبدل ملابسك الرياضية هذه " . ورغم انه ناداه باسمه الاول ، فلم يكن في ذلك ليومئ بالود على الإطلاق ، بل كانت نغمته رقيقة تفوح بالوعيد ، مما جعل "مات" يزداد قلقا .

وشعرت "فرانسيسكا" بالذنب ، لقد كانت انانية حينما طلبت من "مات" ان يقف بجوارها ضد "اوليفر" ، وهي تعلم جيدا ماسيجره هذا من مشاكل بين الرجلين . فهما في الاصل صديقا طفولة ، ولا تعي

ذاكرتها مشاجرة حقيقية بينهما ، ولاتود بالقطع ان تكون السبب في مشاجرة الآن . وقالت :

- " حقا ، إنك في حاجة إلى دش بعد الجري الذي مارسته " . وظل "مات" مترددا :

- " اواثقة انك ستكونين في امان وحدك ؟ "

وساله "اوليفر" :

- " اتريد لكمة على انفك ؟ " وتجاهله "مات" ، ووجه حديثه لـ"فرانسيسكا" :

- " لو اردتني ، فساظل موجودا لاتاكد انه لن يفعل بك سوءا . "

وصاح فيه "اوليفر" :

- " يبدو انك تنسى زوجة من هي ؟ "

عندئذ التفت إليه "مات" وقال :

- " بل انت الذي تنسى هذا على الدوام ... ولهذا تركتك " وخطا "اوليفر" تجاهه ، واسرعت "فرانسيسكا" تدفع "مات" إلى الباب قائلة :

- " اذهب لتبدل ملابسك وتاخذ دشك ، إنني ساكون على مايرام ! ويمكنني معالجة الموقف " . واطاعها وغادر الغرفة . ووقف "اوليفر" يراقبها وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة :

- " إذن ، فانت يمكنك معالجة الموقف ؟ " ردت :

- وإحدى يدي وراء ظهري " وضحك فجاة ، وقد بدت عليه الدهشة ، ثم عبس قائلا :

- " لقد تغيرت . إنك تبدين امراة تختلف عمن تزوجتها "

- " بعد مولد "جون" ، تركتني وحيدة في "سسكس" وتناسيتني تماما! ولم اظل على حالي طوال تلك السنين ، وكل الناس كذلك . لقد كنت اتغير ، ولكن لم تكن موجودا لتلاحظ ذلك "

- " هذا ليس حقيقيا . لقد كنت احضر إلى "لامبورن" كلما اتيح لي . ولكني كنت مشغولا للغاية في تاسيس هذه الشركة ، ولم اكن افعل ذلك لنفسي فقط ، بل لك ولـ"جون" ايضا . وحينما كنت بعيدا عنكما ، كنت لا افتا اتذكركما في حياتكما المثالية في "لامبورن" . اتتصورين انه لم يكن بودي دائما ان اكون معكما .

وضحكت بمرارة :

- " كلا ، بل اعتقد انك كنت تجد متعتك هنا في المدينة "

وانفجر وهو يحملق فيها غاضبا :

- بحق السماء يا "فران" ، هل تعتقدين اني اقضي وقتي هنا مترددا على المواخير كل ليلة ؟ او اواعد النساء ؟ اهذه هي كل القضية ؟

- " إني لا اعتقد ذلك ، ولم اقل هذا قط ! فلا تحمل اقوالي اكثر من معناها! إني لم اتركك بسبب شكي في سلوكك هنا في المدينة ، وانت تعلم ذلك !

- " ولماذا تركتني إذن ؟ "

- " لقد قلت لك السبب مرات ومرات ، ولكن إذا كنت مصرا ، فساقوله مرة اخرى ، لقد تركتك لانني نادرا ما اراك ، وحينما كان يحدث ذلك ، فدائما ماتكون محاطا بالناس . لقد تركتك لان زواجنا لم يعد زواجا حقيقيا منذ سنوات ، وكنت اقاسي الملل والوحدة والشقاء". وتوقفت ، والغضب يشع من عينيها ، ثم استطردت :

- " حاول ان تفهم انه لست انا التي تركتك بل انت الذي تركتني منذ سنوات لقد تركتني دون ان تقول ذلك ، متظاهراً بان زواجنا ، لايزال ساريا ، ولكن الحقيقة اننا تحولنا إلى غرباء عن بعضنا ، ولهذا السبب تغيرت انا دون ان تلاحظ انت ، فكيف ستلاحظ وانت غير موجود ؟ "

فربت على خدها برقة وقال :

- " اعطني إذن فرصة لالاحظ ذلك الآن " . فازاحت يده بعيدا قائلة :

- " كلا ، لقد فات الأوان يا "اوليفر" .

ولكنه انزل يده إلى وسطها ، وهمس وشفتاه تمس جيدها مسا رقيقا:

- " لم تكوني لتستجيبي لي الاسبوع الماضي في "لامبورن" ، لو لم اكن لاازال مهما بالنسبة لك "

وسرت رعشة في جسدها كرد فعل لا إرادي .

- " لقد كنت بمسبيلي إلى النوم ، ولا ادري ماكنت افعل ! دعني يا "اوليفر" ، قد يدخل احد ... قد يحضر "مات" في اية لحظة ... " وكان

يقبل انها ، ودقات قلبها تصم اذنيها ، ولكنها كانت تقاوم احاسيسها التي يثيرها فيها . فلم يكن في خطتها ان يتودد إليها "اوليفر" كلما اختلى بها ، وعليها ان تبعده بوسيلة او باخرى قبل ان تخرج الأمور من بين يديها .

- " اه ... "مات" ، حقا ... " واطبقت يداه على كتفيها ، ممسكا بها بحيث يحملق مباشرة في عينيها متهما :

- " ... اصدقيني القول ... مالذي بينك وبين "مات" ؟ "

واندفعت تعترض بصورة آلية قائلة :

- " لاشيء البتة ! " ولكن عينيها الزرقاوين اشاحتا بعيدا وهي تشعر بالذنب . لقد افزعها "مات" اليوم . إنها لم تنظر له ابدا إلا باعتباره صديقا قديما ، في مقام اخ لها ، ولم تشك لحظة في انه لايبادلها إلا نفس المشاعر . ولكن تصرفه الاخير معها كان على عكس ذلك ، وقد اربكها ذلك ، فهذا امر لم تكن تتصوره .

وضاقت عينا "اوليفر" وهو يقول :

- " لاشيء ، ولماذا إذن كنت جالسة على ركبتيه تقريبا ؟ ولماذا بدا عليكما الشعور بالذنب ؟ "

- " لقد اخذتنا الدهشة ، وليس الشعور بالذنب ! " وكانت في اعتراضها تود لو تبدو مقنعة . ولم تكن تدري حتى تلك اللحظة ما الذي دفع "مات" ليتصرف بهذه الطريقة ، هل هو مجرد انجذاب عارض تجاهها ، أم ان هناك امرا اشد عمقا وراء قبلته تلك . ولكن الشيء الذي كانت متاكدة منه ، انها لن تخبر "اوليفر" باي شيء .

وتمعن "اوليفر" فيها مليا ، ثم قال :

- " همم ! ... سؤال اخر يلح علي ، لماذا اخترت شركتي بالذات ، دون اي مكان آخر لتعملي فيها ؟ فهناك العديد من الاماكن في لندن "

- " ليس لمن لم تعمل منذ سنوات . فمعلوماتي في السكرتارية محتاجة إلى التجديد ، وانا محتاجةإلى الخبرة العملية ، ولا اتوقع من شركة اخرى ان تقبلني دونها . " ثم نظرت إليه في تحد :

- " ولماذا لا اعمل في شركتنا ؟ يبدو انك نسيت ماقدمته انا للشركة في سنواتها الأولى ، قبل ان يولد "جون" وبعد ان ولد ، ايام كنت اعمل

وهو راقد في مهده بجواري في المكتب . لقد ساعدت في تاسيس هذه الشركة ، ولو كنت ساطلب الطلاق ، فسيكون من حقي نصفها ، ومن ثم فهي مدينة لي بوظيفة على الاقل " .

وتقلصت شفتاه ، ثم ضحك ضحكة جافة وقال :

- " وقد حصلت عليها ؟ " فردت رافعة راسها تنظر مباشرة في عينيه:

- " نعم " .

واخذ يحملق في العينين الزرقاوين في صمت ، ثم هز راسه ببطء وقال :

- " علي ان اذهب الآن فلدي موعد مهم بعد عشر دقائق ، فلتتناولي العشاء معي الليلة " .

وشعرت بجفاف في حلقها للعرض ، وكانت تتوق إلى قضاء الأمسية معه ، وكان شاقا عليها ان ترفض ، ولكنها قالت ببرود :

- " اسفة ، فلدي موعد الليلة " .

وتوقف عن الابتسام ، وعادت عيناه حادتين غاضبتين ، وسالها في صوت مقتضب :

- " مع "مات" ؟ " فردت وشعرها يكاد يقف من هول نظراته :

- " كلا " .

كان "أوليفر" رجلا صلبا ، نزاعا للتملك ، مدفوعا بهذه الغريزة طوال حياته ، وهذا هو السر في تحقيق ماحققه في فترة وجيزة ، اسس الشركة ، وانشا مصانعها في كل مكان ، وحاز الشركات من صغار الموردين ، واشترى وباع العقارات في سرعة مذهلة إلى ان انتهى الأمر بهما في "لامبورن" . إنه قد لايكون يحبها ، ولكنه يشعر انها ملكه، جزء من ممتلكاته ، وعليه ان يقاتل ليظل محتفظا بها ، وان يقاوم اي رجل آخر يريد الحصول عليها اكثر من ان يكون مدفوعا بحب حقيقي لها . وفي لحظة إدراكه انه سوف يفقدها ، بدا يجاهد لاستبقائها ، ولن تخدع هي بذلك . فإذا كانت هذه هي فكرة "أوليفر" عن الحب، فهي ليست فكرتها . إن امام "أوليفر" الكثير ليتعلم عن الحب ، وسوف تقوم هي بذلك .

- " مع صديق آخر ؟ ومن يكون لك من اصدقاء لاأعرفهم ؟ ام تراه شخص صادفته عند وصولك إلى لندن ؟ "

- " بالضبط ، شخص تعرفت عليه منذ وصلت إلى لندن " .

- " من يكون ؟ وأين قابلته ؟ وماسمه ؟ " كان "أوليفر" يقذف بالأسئلة وهي لاتجيب .

- " لاتتدخل في حياتي الخاصة يا"أوليفر" ، وقد اقصيتني عن حياتك الخاصة عدة سنوات " .

- " اللعنة ! ليست لي حياة خاصة ! "

ولم تتمالك نفسها من ضحكة للتعبير الذي عبربه عن استيائه ، وكادت تصدقه ، ولكن ذلك لم يكن مناسبا للموقف على اية حال .

وفتح الباب ودخل "مات" ، ثم توقف حين راى ان "أوليفر" لايزال موجودا معها ، وغمغم :

- " اه ، هالو " . وأمره "أوليفر" :

- " اخرج ! " ولكن "فرانسيسكا" سارعت بالقول :

- " بل ابق يا"مات" ! " وأدار "أوليفر" عينيه العسليتين لها :

- " اتتعمدين ان تستثيري غضبي حقيقة ؟ إنك في الطريق الصحيح لذلك ، ولكنك ستندمين حين لاينفع الندم " . واستدار خارجا ، صافقا الباب وراءه .

وحملق "مات" مقطبا ، وقال :

- " لكم تحملت من "أوليفر" ، ولكنه يدفع بالأمور إلى ابعد مما يجب، من يظن نفسه حتى يعاملني كساع لديه ؟ "

ولما كان "مات" عزيزا على "فرانسيسكا" ، ويؤسفها ان تراه متكدرا ، فقد قالت :

- " إنني متاسفة يا"مات" . فرد على الفور مبتسما لها :

- " إنها ليست غلطتك يا"فران" ! فلست مسؤولة . عن تصرفات "أوليفر" فردت باسى لايخلو من تلذذ :

- " لا ، بل غلطتك انت " . ورات وجه "مات" يتقلص منكرا :

- " انا يا"فران" ؟ كيف تقولين لي ؟ إنني ... "

- " "مات" ، إن مشكلة "أوليفر" انه قد كون ثروة كبير في وقت قصير ،

فدار راسه لذلك ، ولكنه لم يكن ليفعل ذلك وحده . فالشركة كلها تدار بعقلك انت . وليس بعقله هو . فاي مدير كفء او محاسب جيد يمكنه تسويق منتجات الشركة - ولكنك انت الوحيد الذي تبتكرها ، ولم يعد "اوليفر" يرى ذلك . لقد تعود ان ينظر له الجميع على انه محور التنظيم كله لدرجة انه نسي إنجازاتك للشركة .

وحملق فيها "مات" وهو مستغرق في التفكير ، وابتسمت هي له في ود ، ثم استطردت وهي تدرك اثر حديثها هذا :

- " ولو سمعني "اوليفر" وانا اقول لك ذلك ، لقتلني " .

قال "مات" وهو يحك ذقنه ويبتسم لـ"فرانسيسكا" :

- " نعم ، إخاله فاعلا ذلك ، ولكنك على حق دون شك ، ولعلي ابدو غبيا ، ولكني لست ساذجا على الإطلاق ، فانا اعرف احتياج الشركة لابتكاراتي ، ولكني اعلم ايضا ان "اوليفر" رجل بيع ورجل تنظيم ممتاز، وهل تدركين ماذا كان سيحدث لو لم ابن هذه الشركة مع "اوليفر" ؟ كنت ساعمل مع شركة اخرى تستغلني بابخس الاثمان . فانا في انهماكي في عملي قدلا ابالي ان نتاج فكري قد بيع لاي إنسان مقابل حفنة من الفول السوداني ، وبدون ان ادرك القيمة المالية لذلك " .

وهزت راسها . لقد كان محقا ، هذا ماكان سيحدث ، وهناك الكثير من الناس المستعدين لاعتصاره إلى آخر بنس يستطيعون اكتسابه منه . واستطرد "مات" : - " لقد كان "اوليفر" عادلا معي " . ونظرت في عينيه متوردة :

- " لم اقصد انه يخدعك ، لم يكن هذا قصدي "

- " اعلم ماتقصدين ، إن "اوليفر" بدا يعتقد انه اهم مني ، بالضبط كما تعود ان ينظر إليك كقضية مسلمة . ولكنه هو الذي امسى هذه الشركة من المال الذي اقترضه هو وسدداه معا منذ فترة طويلة يا"فران" ، ويجب ان يذكر له هذا الفضل . إنه هو الذي قسم اسهم الشركة بيننا نحن الثلاثة . اتذكرين ؟ "

واتسعت عيناها وازدادت عمقا :

- " بيننا نحن الثلاثة ؟ ! " وصدرت منها شهقة للذكرى . لقد نسيت تماما هذا الأمر ، وان "اوليفر" حينما قسم راس المال بينهم قد عمل ذلك

لاسباب محاسبية ممتازة ، لم تكن تعني لها هي اي شيء ، لقد كانت مشغولة برضيعها، ثم الاهتمام بـ"جون" حتى إنها نسيت الأمر برمته ، عدا ماتقوم به من توقيع بعض الأوراق يضعها امامها "اوليفر" بين الحين والحين .

وراقبها "مات" عابسا ثم انفجر ضاحكا :

- " إنك لا تتذكرين ، ولكنك تملكين ثلث هذه الشركة ، على الورق على الاقل" . وردت بمرارة :

- " إذن فانا كذلك " . وادركت لماذا إصرار "اوليفر" على استبقائها . إنها تملك ثلث الشركة ، ولن يغامر بمنحها الطلاق وإلا فقد السيطرة على الشركة . لقد بدات تتمنى ان يكون "اوليفر" لايزال يحبها حتى ولو كان بينه وبين "جانيس" شيء ما . لقد اصابه الاضطراب لذكر الطلاق ، فما كان ظنه بها ؟ " وسالها "مات" متحيرا للتعاسة التي بدت في عينيها :

- " ماذا بك يا"فران" ؟ "فران" ؟ ما الخطب ؟ "قردت في غضب :

- " إنني غبية ، ساذجة وغبية " ثم نظرت لـ"مات" وتنهدت . لم يكن هناك مبرر لشرح الأمر لـ"مات" ، فهو نفسه ضحية لـ"اوليفر" كانانها هي !

- " بودي لو اعرف ماتفكرين فيه "

وعبست له قائلة :

- " لاعليك. هل انت مرتبط بشيء الليلة ؟ اتود الذهاب إلى حفلة ما ؟"

واشرق وجهه :

- " معك ؟ في اي وقت ! "

وضحكت ، ثم نظرت إليه بسرعة مترددة . لقد كان يمزح ، اليس كذلك ؟. وقالت في شك :

- " لعلي لن ادخل في مشاكل معك انت ايضا " . وضحك ، ثم عبس حينما فكر فيما قالت .

- " ماذا تقصدين معي انا ايضا ؟ من ذلك الذي ضايقك ؟ " ونظرت إلى عينيه المتسائلتين وابتسمت في اسى قائلة :

- " يعجبني طريقتك في استخلاص النتائج ، ولكن لاتهتم ، فكلها

شائعات يمكنني التعامل معها . فبعض الرجال يظنون انني محتاجة بكل شدة إلى صحبة رجل طالما انفصلت عن "اوليفر" وانفجر قائلا :

- " الملاعين ، حدثيني عنهم وساعلمهم كيف يضعون عقولهم في رؤوسهم " .

- " لن تحتاج إلى ذلك ، فما ان اشير إلى ان "اوليفر" سيكون مستاء حتى يتبخروا في الهواء " ثم ابتسمت في دهاء وقالت :

- " ارايت ، حتى "اوليفر" له استخداماته " .

الفصل السادس

كانت شقة "هيثر" عصرية إلى ابعد مدى ، وصغيرة جدا بالقياس إلى عدد الافراد الذين تكدسوا بها من حضور الحفلة . وقد طافت "هيثر" بـ"فرانسيسكا" و"مات" ، اللذين حضرا قبل بقية القوم ، بارجائها في زهو . ولم تطل الجولة ، إذ بإمكانك ان تطوف كل انحاء الشقة في دقيقتين ، ولكن "هيثر" كانت منفعلة لكل لمسة فيها ، وحسدتها "فرانسيسكا" على هذه السعادة الغامرة ، وتذكرت مشاعرها منذ عشر سنوات ومضت ، حينما انتقلت مع "اوليفر" إلى تلك الشقة الضيقة ذات المنظر الرائع المطل على مصانع الغاز وكم لانهائي من الأسطح والمداخن .

وقالت لـ"هيثر" :

- " إنها رائعة " فردت :

- "حسنا - إنها ملكنا على الأقل، وبداية لنا " . فقالت "فرانسيسكا" :

- " ستكونان سعيدين كعصفورين فيها " . ثم مالبث ان هلت اول موجة من الضيوف ، وحشرت "فرانسيسكا" مع "مات" في أحد الأركان .

وكانت ممسكة بكاس كوكتيل ، واحاديث عن الطقس ، واخر الحوادث ، ومسلسلات التليفزيون مع اناس معروفين بالكادلهما .

وهمست لـ"مات" :

- " حينما وصلنا ، دهشت لصغر الشقة ، هل احصيت عدد الحضور ؟ اقسم ان العدد خمسون في هذه الغرفة فقط . لقد عرفت الآن كيف يحبس السردين في علبته " . فاجابها :

- " اتودين ان ننصرف ؟ " وكان يرفع صوته ليعلو على رنات الموسيقى التي اطلقها "تد" من جهاز الستريو .

وصاحت ترد عليه :

- " لو امكننا ان نصارع من اجل الوصول إلى الباب " لفعلنا . ولم تكن بقية شقق العمارة قد شغلت ، ومن ثم لا يوجد جيران يشكون من الضجيج ، ولكن الموسيقى كانت تصم الآذان .

واخذ "مات" يتدافع ليفسح طريقا لهما ، حتى وصلا إلى الباب في النهاية ، فواجها "اوليفر" و"جانيس" اللذين وصلا لتوهما . وكان "اوليفر" يخلع عن "جانيس" معطفها الابيض ، وكانت "جانيس" تنظر إليه من فوق كتفها ، وفمها الاحمر متشكل في ابتسامة مغرية ، ولم ير اي منهما "فرانسيسكا" بعد .

ونظر إليها "مات" في اهتمام فهزت له كتفيها عابسة ، وتمنت الا يراها "اوليفر" . وحينما عادت تنظر إلى "اوليفر" ، كان قد ذهب ، و"جانيس" وحدها . لاشك ان "اوليفر" قد ذهب بمعطفها إلى الغرفة التي توضع فيها كل المعاطف ، واندفعت "فرانسيسكا" إلى الباب لتنصرف قبل ان يعود .

وتنبه كل رجل من الحاضرين لرداء "جانيس" ، كان من الساتان الاسود الذي يغطي صدرها ، تاركا كتفيها عاريتين وذراعيها . وكان الرداء ملتصقا بجسدها كجلد ثان لها ، يعلوه الشعر الملتهب حمرة يحيط بجسدها ناصع البياض . لم تستطع "فرانسيسكا" ان تنكر ان "جانيس" كانت ملكة إغراء من الطراز الأول ، وتمنت لو امكنها ان تكون كذلك ، ولكنها لم تكن كذلك .

ولمحتها "جانيس" ، ورمقتها بنظرة متعالية ، ثم قالت في دلال :

- " هالو "مات" وطبعت قبلة على خده .

وجفل "مات" ، كما لو كانت "جانيس" لم تقبله من قبل . وقالت "جانيس" موجهة السؤال للهواء الموجود بين "فرانسيسكا" و"مات" :

- " اهي حفلة ممتعة " ؟ ولم تكن قد حيت "فرانسيسكا" إلا بنظرة ازدراء ، وكان "مات" هو الذي غمغم بشيء عن المتعة في الحفلة ، ثم استطرد :

- " إننا منصرفان ، ولكن لا ارى "تد" او "هيثر" ؛ هل تبلغينهما السلام بالنيابة عنا ؟ إننا في عجلة فنحن ... " وهرب منه الكلام فوقف كهشوه . واتسعت ابتسامة "جانيس" ، ولمعت عيون القطط فيها .

- " اذاهبان للعشاء ؟ عظيم ، طبعا ساخبر "هيثر" بانصرافكما " .

وما إن هرب "مات" و"فرانسيسكا" إلى هواء الخريف حتى قالت :

- " اراهن انها ستفعل " وكانت العمارات مصطفة على جانبي الشارع الضيق ، وفي نهايته يلمع النهر مظلما وسط الظلال ، او ملونا بانعكاسات الاضواء من المباني المحيطة به ومصابيح الشوارع .

وسالها "مات" متحيرا :

- " ماذا تقصدين ؟ "

- " سيسعد "جانيس" ان تخبر "هيثر" اننا شعرنا بالملل من حفلتها ، فهذه هوايتها وذعر "مات" :

- " اتتصورين حقا انها ستفعل ذلك بسوء نية ؟ مسكينة "هيثر" .. سيحزنني ان تعتقد اننا انصرفنا مللا .... انتظريني لحظة ، وساعود لاودع "هيثر" قبل ان تفعل "جانيس" شيئا يؤذي مشاعرها " . واستدار وهرع راجعا ، بينما "فرانسيسكا" تراقبه بإشفاق ، لكم هو طيب القلب، وكم سيكون زوجا رائعا يبعث السعادة في قلب فتاة محظوظة ، ولكن تلك الفتاة سيتحتم عليها ان تتحمل العبء كله فـ"مات" ليس من الطراز الجلد .

وكان هناك عدد كبير من السيارات ، اتى اصحابها بالقطع لحضور الحفل . واتجهت "فرانسيسكا" إلى حيث اوقف "مات" سيارته ، واخذت تتامل السيارة الفورد الحمراء الواقفة خلف سيارته لصيقة بها ، وكان هناك سيارة اخرى امامها بالضبط ، فكيف سيخرج "مات"

سيارته ؟

وتصلب جسدها لسماع خطوات خلفها ، فاستدارت ، وقلبها يكاد يقفز داخلها ، فوجدت نفسها مواجهة لـ"اوليفر" ، الفارع الطول نحيل الجسد في حلته السوداء ، وقميصه الابيض ، ولمحت في هذه اللحظة فقط سيارته الرولزرويس واقفة وحيدة في عظمة تحت احد المصابيح ، لابد انه جاء ليضع فيها معطف فراء "جانيس" ، إذ لا يصح ان يوضع في غرفة المعاطف دون ان يحرسه احد .

ونظر إليها في دهشة ، ثم ابتسم :

- " اهذا هو الميعاد السري الذي كنت تتكلمين عنه ؟ إنني سعيد ان حضرت ، فقد كنت بين بين ، ولكني حدست انهم يتوقعون حضوري ، ولم اشأ ان اخيب ظن موظفي في مناسبة كهذه . إنها لحظة مثيرة لـ"هيلر" اتذكرين شقتنا الاولى؟ "

وهزت راسها ، واعية لعينيه تمسحان جسدها ، ومتمنية لو كانت قد ارتدت شيئا اكثر لفتا للنظر من ردائها الازرق الحريري العادي . إنها لم تكن تود ان تبز "هيلر" فالليلة ليلتها اولا واخيرا ، ومازال هذا شعورها ، ولكنها تعلم انها لم تكن لتنافس "جانيس" في ردائها الساتاني الاسود الذي يخطف الابصار .

وقال لها "اوليفر" في عنوبة ، لكم احبك في اللون الازرق ، دائما ، اتذكرين ؟ " واحمرت وجنتاها ، واحنت راسها وانحسر "الشانيون" الفضي الناعم عن جيدها وسرت في جيدها رعشة لشيء ما في صوته .

- " اتشعرين بالبرد ؟ إذن هيا إلى الداخل ، فالجو بارد هنا " . ومد يديه يتابطها ، وهو ينظر إلى خدها سهل المنال له ، وملأت البسمة عينيه :

- " إن الايام تزداد قصرا ، وسرعان مايحل عيد الميلاد ، ويعود "جون" إلى المنزل . اتتطلعين إلى عودته ؟ إن هذا هو شعوري ، بل إن الجليد قد يتساقط لكم احتفلنا باعياد الميلاد ، اتذكرين ؟ و"جون" يحب الثلج في عيد الميلاد ، وافكر ان اشتري له زلاقة يلهو بها عند التل لو تجمدت الارض . لكم اتخيل كم تغير الآن ، سيكون قد ازداد طوله بوصة او اثنتين " . واستمر يبتسم لها ، يحثها ان ترافقه إلى الداخل .

وقالت له في برود :

- " إنني لم اصل لتوي ؛ بل وصلت منذ فترة ، وانا منصرفة " . وشعرت بسعادة انها لن تراه مع "جانيس" في الحفلة ، وإلا ، فهل سيتظاهر انه وصل بمفرده بعد ان راها ؟ هل سيعطي "جانيس" إشارة سرية لتبتعد عنهمادامت زوجته موجودة ؟

ورفع حاجبيه ، متعجبا :

- " ابهذه السرعة ؟ الا يوجد احد تتحدثين إليه ؟ حسنا ، هيا بنا نظهر انفسنا للحظات ثم نذهب إلى العشاء معا في مكان متميز " .

وهزت راسها قائلة :

- " شكرا لك ، ولكني لا استطيع " . وكانت لشدة غضبها لا تقوى على الكلام . وعبس ، والقى نظرة وراء كتفيه ، وجاءته اصوات دوي الموسيقى وقال:

- " نعم ، اتصور انك لن تحبي ان تعودي وقد انصرفت . انتظري ، انتظريني دقيقة ، ساسرع إلى الداخل ، القي بالتحية سريعا ، واعتذر عن عدم إمكاني البقاء، ولن استغرق اكثر من دقيقتين ، ثم نتوجه إلى مكان لطيف نتناول فيه الطعام " .

واخذت تتمعن في وجهه ببرود، هل كان يقصد ان يسرع إلى الداخل ليذكر لـ"جانيس" انه ذاهب لكي يتناول طعام العشاء مع زوجته ؟ ووددت لو ترى وجه "جانيس" في تلك اللحظة !

إنه لم يذكر شيئا عن "جانيس" ، بالتاكيد ، فهو لا يتخيل ابدا انها تعرف انه احضر فتاة اخرى معه . اتراه يظنها عمياء ، بكماء ، خرساء ، غبية ؟ او ان الآخرين كذلك ؟ إلى اي مدى يظن انه يمكنه ان يواصل علاقته بـ"جانيس" دون ان يلحظه احد ؟ إن اغلب العاملين في مكتب لندن حاضرون ، وهم يعلمون انه حضر مع "جانيس" ، ويفهمون مغزى ذلك جيدا .

وقالت له بصوت خال من الانفعال :

- " إنني انتظر "مات" في الواقع " .

وتقارب حاجباه ، ورات فمه يتشكل في خط قاس ، والقى بنظرة اخرى تجاه نوافذ الشقة . ثم إلى وجهها المتباعد مرة اخرى ، وكرر

غير مصدق :

- " احضرت مع "مات" ؟ هل حضرت الحفل مع شريكي، وليس معي ؟"

وخفض صوته ، ولكنه ظل اجش " ماذا تحاولين أن تفعلي بي ؟ الا يكفيك مايجري من اقاويل ؟ ماذا سيقول الناس حينما يرونك حضرت مع "مات" ، وليس معي ؟ "

- " نفس ماسيقولونه حينما يرونك حضرت مع سكرتيرتك ، وليس معي " قالت ذلك بتاكيد مرير ، ورات وجهه يتقلص ، وعينيه العسليتين تضيقان ، وقالت :

- " نعم ، لقد رايتكما تحضران معا ، فلا تتظاهر انك جئت بمفردك".

وصاح بها :

- " لاتكوني حمقاء ، إن الامر ليس متماثلا على الاطلاق . لقد اتيت بها من المكتب مباشرة ، بدلا من ادعها تبحث عن تاكسي "

وضحكت في سخرية :

- " كلام مقنع تماما ، وإن كان البعض قد يجده غريبا ان تحضرا معا في ملابس السهرة . اهذا ما يرتديه الناس في المكاتب هذه الايام ؟"

ورد وقد توتر جسده :

- " لقد بدلنا ثيابنا قبل الحضور مباشرة ! "

- " امن أجل هذه الحفلة العادية ؟ بينما تقول إنك ستسرع بقيقتين لتعتذر ؟ " واحتقن وجهه ، وازداد كلامه تركيزا ، بالكاد يخرج مقتضبا من بين أسنانه :

- " ماحدث هو ان هناك حفلة اخرى في فندق سافوي ، حفلة استقبال اقامتها إحدى الشركات الامريكية المتعاملة معنا ، وهي جزء من اتحاد صناعي عالمي ، ومهتمون باخر ابتكارات "مات" من اجهزة الكمبيوتر المتنقلة ، وسنذهب إليها بعد قضاء الواجب بالنسبة لهذه الحفلة "

وغمغمت :

- " اخذا "جانيس" معك بالقطع " وكان رده نظرة يتطاير منها الشرر، ثم قال :

- " إنها سكرتيرتي "

- " ولا تكاد تفارق جوارك ! "

واندفعت يداه تقبضان على ذراعيها ، تغوص اصابعه فيها حتى انت ألما :

- " اعلم ما تهدفين إليه ! لاتظني بي الغباء ، إنها مؤامرة غاية في الدهاء ، اليس كذلك " إنك تريدين الطلاق ، ولكن لاتريدين إقحام علاقتك بـ"مات" فيها ، ومن ثم تريدين الادعاء بانك لم تبدئي في رؤيته إلا بعد اكتشافك تورطي مع "جانيس" ، وبهذا تبررين خيانتك ، وستكون التسوية المالية في صالحك ، وإذا لم اتوخ الحذر ، فسينتهي الامر بان تحصلي من شركتي على اكثر مما احصل انا ! خطة بارعة ياحبيبتي ، هل رسمتها انت ام "مات" ؟ "

- " لم يدر بخلد اي منا شيء من هذا القبيل ! لايوجد من يتهمنا بخطة رخيصة كهذه إلا من له عقل في خبث الافعى " وازدادت اصابعه ضغطا ، فصاحت به " دعني " وحاولت ان تخلص نفسها منه وجسدها يهتز من الغضب :

- " إذا كنت تعتقد ان بإمكانك إيذائي كما يحلو لك ، فإنك لاتعرفني حق المعرفة "

غمغم وهو يحملق فيها :

- " حقا ، انا لم اعرفك " ثم احنى راسه بسرعة ليقبلها قبلة من العنف لدرجة ان راسها مال إلى الوراء إلى ان شعرت بالالم في عنقها ، وحاولت ان تقاومه بالتملص والضرب ، ولكن ذلك لم يزده إلا تصميما، وقد طفت قوته عليها، وبقدر مالمها بقدر ماانتسحت اللذة كيانها لالتصاق جسدها بجسده ، وازداد الالم في صدرها وهو يسحقها بين ذراعيه . لقد تغيرت العداوة بينهما إلى شيء آخر ، بدائي ، مثير ، وانفجر بركان من الرغبة فيها ، وعاد يغمغم بصوت اجش :

- " لا اعرفك ، ولكني اريدك ، كوني لي الليلة ياقران "

واغلقت عينيها لتستمتع بتلك اللحظة ، ملقية جسدها إليه ، فهي ترغبه بقدر مايرغبها ووبت لو تستسلم له كلية في تلك اللحظة ، ولكن ليس بعد ، لايزال امامها المزيد من معاناة الرغبة واليأس ، والنشوة التي لاتكتمل بهجتها . وتذكرت وهي تحت لهيب قبلاته كم مضى

عليهما من زمن لم يلمسها "اوليفر" بهذه الصورة ، وان يظهر لها هذا التعطش .

وعاد يغمغم

- " الا ترين إلى اي مدى اريدك ياحبيبة قلبي " ؟

ولكن صوتا اخر تداخل مع الغمغمة المكتومة ، كان صوتا باردا مليئا بالثقة في النفس ، بل والغرور ، صوت جعل الدم يغلي في عروق "فرانسيسكا" ، وجعل "اوليفر" يتصلب ويصمت على التو .

كان الصوت اتيا من مدخل العمارة يقول :

- " لن نبقى طويلا ، إننا ذاهبان إلى سافوي " . وتردد صوت "مات"

- "سافوي ؟ يبدو ذلك رائعا ، لم اذهب إلى هناك من قبل " ؟

وارخى "اوليفر" ذراعيه ، ووقف صامتا يلهث كما لو كان قد جرى مدة طويلة ، وعيناه تشعان بالرغبة وهو يرقب "فرانسيسكا" .

وكرر لها في صوت ملح :

- " هيا معي إلى المنزل ، اقبلي بسرعة ، يمكننا الوصول إلى السيارة قبل ان يصلا ويرياننا " .

وكانت قد عادت باردة ، بقدر ما كانت ملتهبة منذ لحظة مضت ، ونظرت إليه بمرارة ، لقد كاد ينسيها حتى كانت تنساق وراء رغبتها ، ولكنها عادت إلى رشدها في اللحظة المناسبة لحسن الحظ ، ولن يكسب "اوليفر" هذه الجولة على الإطلاق .

وقالت له وهي تبتسم في برود :

- " إن "جانيس" تبحث عنك ، و"مات" يبحث عني " ولم تنتظر منه ردا ، بل ابتعدت عنه ، وصوت وقع اقدامها يرن على المشى فاستدار له "مات" :

- " اه ، هل انت هنا ؟ اسف لتاخري ، لقد ظللت ابحث عن "هيلر" مدة طويلة لقد كان امرا غبيا مني ان لم افتح لك السيارة لتنتظري فيها إلى ان اعود - لعلك تجمدت من البرد لوقفتك في الشارع في هذا الوقت " .

قالت في صوت أجش :

- " إنني بخير " . وكانت واعية لعيون "جانيس" ترقبها حادة كعيون

الصقر ، واضافت و"اوليفر" يتجه إليهما ببطء :

- " لقد كانت معي صحبة " . ثم مدت يدها تمسك بذراع "مات" قائلة :

- " هل نذهب الآن " .

قال :

- " بالتاكيد ... " ولكنه رمق "اوليفر" بنظرة حذرة ، وقال "اوليفر" بالقضاب :

- مرحبا "مات" ! " فرد عليه والعصبية تلوح على وجهه : " اهلا " .

وغمغمت "فرانسيسكا" للآخرين :

- " تمتعا بوقتكما ، هيا يا "مات" ، إنني اتضور جوعا " .

فقال :

- " نعم ، هيا " وبدا يتحرك ، ولكنه وجد "اوليفر" يسد عليه الطريق قائلا :

- " لقد خطرت لي فكرة ، ولماذا لاتصاحبانا إلى فندق سافوي ؛ إننا لم نحتفل بعد انا و"فرانسيسكا" بعيد زواجنا العاشر ، وقد ان الاوان لنقوم بذلك " .

ولم تتوقف "جانيس" عن الابتسام ، ولكن لامر ماشعرت "فرانسيسكا" بانها ليست في حالة مزاجية طيبة ، فقالت :

- " وماذا عن حفلة "هيلر" المسكينة ؟ يجب ان تظهرا لها نفسيكما وإلا جرحت مشاعرها " .

فقال "اوليفر" بعناد :

- " لقد قمت بذلك بالفعل ، وحييت "تد" لدى الباب ، وعلم بالفعل اننا حضرنا " ولم يرفع عينيه عن "فرانسيسكا" في حملقة مصرة تفيض بالرغبة فيها ، وتحثها على الموافقة على تناول العشاء معه في "سافوي" . وخفضت ناظريها ترقبه من خلال رموش غير مغلقة تماما تتمنى لو امكنها قراءة مايدور في ذهنه. ولم تيئس "جانيس" ، فرفعت صوتها طبقة اوما اشبه لتجذب انتباهه إليها :

- " ولكن لاتنس اهمية وجودنا في حفل الاستقبال ذاك ، لقد ذكرت بنفسك مدى اهمية ذلك ! فرد بالقضاب :

- " يمكن الذهاب والاعتذار " فردت "فرانسيسكا" برقة :

- " اوه ، كلا ، لايجب الا تفعل ذلك . إن من الأهمية بمكان أن نسوق جهاز "بورتا" للأمريكيين ، اليس كذلك ؟

بالتاكيد بلى، يجب ان تذهب إلى حفلهم وتدردش معهم ، فلو استطعنا ان نكسب صفقة البيع هذه لدرت علينا ربحا وفيرا ولفتحت امامنا مجال تسويق واسع " .

وهز "مات" راسه متحمسا :

- " هذا صحيح تماما يا"اوليفر" ، سيكون رائعا لو حققنا صفقة بيع كبيرة لجهاز "بورتا" ، إن لدي امالا عريضة في ذلك ، ولو دبرنا هذا الأمر قبل اعياد الميلاد ، لكان بمقدورنا ان نبدا الإنتاج مع بداية العام ، وسيساعدنا كثيرا ان نحصل على امر توريد كبير الحجم من البداية ، إذ سيخفض هذا من مخاطر التكلفة ، ويعفينا مشقة اللجوء إلى البنك للسحب على المكشوف لتغطية تكلفة الإنتاج ، إن إحساسي من ناحية هذا الجهاز مرتفع للغاية ، وانا منكب الآن على وضع اللمسات الأخيرة فيه ، وإنني ... "

قال "اوليفر" متوترا :

- " حسنا ، حسنا ، إنه ليس المكان ولا الوقت المناسبين لإلقاء خطبة فياضة حول طفلك الأخير ، ومن جهة اخرى فانت لاتفهم شيئا في التسويق ، فالزم ماتعرفه ، وانتبه لعملك ودعني انتبه إلى عملي " .

وقالت "فرانسيسكا" وقد اشرقت عيناها "

- " واضح انه لابد من ذهابك إلى سافوي يا"اوليفر" وحظا سعيدا مع الأمريكيين " .

ولم يحاول هذه المرة ان يوقفهما ، بل اكتفى بمراقبتها وهي تتجه إلى سيارة "مات" ، ونظراته تشع بالغضب إلى درجة ان "فرانسيسكا" شعرت وكانها تحرق مؤخرة عنقها باكمله .

وجلست بجوار "مات" واطلقت زفرة ارتياح ، وكان لايزال على "مات" ان يخرج سيارته من مكان إيقافها اي ان المحنة لم تنته بعد ، وقبض "مات" على مقود السيارة عابسا وقال :

- " إنني اتميز من التوتر ، واود لو توقف "اوليفر" عن مراقبته لي ، فذلك يجعلني عصبيا " .

وكان هذا مايريده ، هذا ما ادركته "فرانسيسكا" ، فقد كان يقف فارع الطول ، مكفهر الوجه ، شريرا ، يراقب في سخرية محاولات "مات" المستميتة للخروج من ورطته ، يحرك سيارته خلفا وامامًا ، ويلوي مقود السيارة مزمجرا متافقا . وكانت "فرانسيسكا" ترقب "اوليفر" من المراة الأمامية ، وشعره يتطاير مع نسمات الليل ، وعيناه تلمعان ، و"جانيس" قد استبد بها نفاد الصبر تحاول عابسة ان تقنعه بالعودة إلى الحفل مؤكدة هذا ، فهي تريد كل إنسان أن يراها معه ، وقد لا يدرك "اوليفر" ذلك ، ولكن "جانيس" تود من سويداء قلبها ان يدين نفسه في علاقة معها ، فهو برجوعه معها سيقوم بذلك من الناحية العملية .

إنها لم يكن يهمها ان تحوز "فرانسيسكا" ثلث اسهم الشركة ، او انه في حالة طلاقها من "اوليفر" ، خصوصا لو تزوجت من "مات" ، فإن "اوليفر" سيفقد سيطرته على الشركة فـ"جانيس" ليس لديها ما تخسره، وامامها كل شيء لتكسبه من انفصال "اوليفر" عن زوجته ، وهي فتاة غاية في الطموح ، كما هو واضح تماما ، فهي سكرتيرة "اوليفر" منذ سنوات مضت ، وقد كافحت لتثبت جدارتها بمركزها ، و"فرانسيسكا" مقتنعة بان بينهما علاقات خاصة خارج محيط العمل .

ولا شك في انها لن تعدم وسيلة لقطع الشك باليقين فبإمكانها استئجار مخبر خاص يبحث لها عن الأدلة ، ولكن مجرد هذه الفكرة كانت تشعرها بالتقزز ، فهو امر غاية في الإيلام والمهانة ، وهي تفضل ان تظل على شكها عن ان تدفع لشخص ما ليتتبع "اوليفر" ويتجسس عليه .

واطلق "مات" زفرة اخيرة من الارتياح وقد تمكن من ان يشق طريق سيارته خارجا بها ببطء ، وراقبت في المراة "جانيس" وهي تدس يدها تحت ذراع "اوليفر" ، وتميل تجاهه وشعرها المبهرج يسطع بالوانه على حلته السوداء .

ستاخذه "جانيس" إلى الحفل ، ثم إلى حفلة الاستقبال في سافوي ، وماذا بعد ؟ ما الذي سيدور بينهما بعد ذلك ؟

وسالها "مات" :

- " حسنا ، اين سنتناول طعامنا ؟ " ولم تجد في نفسها اي ميل للطعام لفرط معاناتها ، فقالت :

- " اعتقد انني ساعود إلى المنزل يا"مات" ورمقها بنظرة دهشة .

- " لقد ظننتك جائعة " . لقد اخذ كلماتها بجدية حينما قالت انها تتضور جوعا ، ولم يخطر بباله انها ما قالت ذلك إلا إكراما لخاطر "اوليفر" . واقترح عليها في مرح :

- " لماذا لانذهب إلى سافوي ؟ إذا كان "اوليفر" و"جانيس" ذاهبين ، فلماذا لا نذهب نحن ايضا ؟ وكما قال "اوليفر" ، إنكما لم تحتفلا بعيد زواجكما العاشر فلنذهب ولنتناول الكافيار والشراب هناك، نعيش يا"فران" ، ونمتع انفسنا " . وراقت لها الفكرة لحظة ، ثم راجعت نفسها فهزت راسها قائلة :

- " قد نصادف "اوليفر" و"جانيس" هناك ، كلا ، لا اعتقد انها فكرة طيبة يا"مات" " .

- " ومن الذي يعنيه ان نصادفهما ؟ إن لنا الحق في الذهاب إلى هناك مثله تماما ! تفهمي ذلك .

لماذا لانذهب لحفلة استقبال الأمريكان ؟ إننا من مدراء الشركة ولنا الحق كـ"اوليفر" بالضبط " وكررت ذاهلة : " مدراء ؟ " .

- " نعم إننا من الناحية الاسمية اعضاء في مجلس الإدارة منذ اسست الشركة . اعلم انك لم تحضري قط الاجتماعات ، ولكنك لاتزالين من المدراء ، بصفتك من كبار حملة الأسهم " .

وكانا قد غادرا الجزء العتيق من المدينة ، ودخلا في اماكن اكثر اضواء من الجزء الغربي منها وحملقت مركزة بصرها ، وهي غارقة في التفكير .

- " هذا امر كنت ناسية له إذن ، وعلى ذلك فقد كنت امارس دور العضو النائم طوال تلك السنين ، لا أفعل شيئا سوى توقيع الأوراق ؟ علي من الآن حضور الاجتماعات . الا تظن ذلك يا"مات" ؟ "

وهز "مات" راسه متعاطفا معها :

- " لو اردت هذا يا"فران" ، لم لا ؟ فانا عن نفسي افعل ذلك ، إذا ماذكرني "اوليفر" ، ولكنه امر شكلي محض ، فانا اترك كل القرارات له ،

إنه يدير كل شيء كالساعة وليس هناك من معنى لأن اتدخل فيما لا افهمه . وكما قال هو ، لكل منا نطاق عمله ، ولاتداخل بيننا " .

وضحكت :

- " اراهن انه كان مسرورا لذلك " فابتسم :

- " إنك تعرفين "اوليفر" وغمغمت :

- " فعلا " . واخذت تراقب مصابيح الشوارع فوقهما وهما يسيران ونهر التيمز الرقراق الداكن على جانب منهما ، وواجهات المباني ومباني الجامعة على الجانب الآخر ، وبعدها مباني فندق "سافوي" ذات طراز بداية القرن ، شبه مختبئة بين الاشجار .

وسالها ببطء :

- " والآن ، اتذهب إلى حفلة الاستقبال ؟ "

ورن في الفضاء صوت ساعة "بيج بن" ، ونظرت بحركة الية إلى ساعة معصمها وقالت :

- " إنها التاسعة الآن ، وقد تاخر الوقت بالنسبة للعشاء " .

- " انا متاكد انهم لايزالون يقدمون العشاء في قاعة النهر ، فالوقت ليس متاخرا بمعايير مدينة لندن ، هيا يا"فران" ! إنني مشتاق فعلا لذلك ، إن القيام بمغامرة ليس متاحاً دائما ، ويجب ان تنفعلي بالشعور اللحظي بين الحين والآخر " .

ووافقته ببطء :

- " هذا حق ، حسنا ، فلنذهب " . لقد انفعلت بالشعور اللحظي يوم ان غادرت "لامبورن" وجاءت إلى لندن . وكانت تقوم بمغامرة محسوبة ، ومن الممكن - بضربة حظ - ان تعود عليها بالخير ، فلماذا لاتقوم باخرى ؟

- " وبعد العشاء ، نذهب إلى حفل الاستقبال ؟ "

- " ولم لا ؟ " لقد كانت فضولية من جهة الشركة الأمريكية متعددة الجنسيات، تلك التي يمكن ان تكون مهمة بالنسبة لهم بدرجة كبيرة . إنها لم تقابل احد كبار العملاء الحقيقيين من قبل ، وإذا كانت مديرة في الشركة فقدان الأوان لان تفعل ذلك . لابد انها كانت عمياء خلال سنوات طويلة بابتعادها عن امور الشركة طوال تلك الفترة . لقد كان

"اوليفر" يستعملها كبصامة لقراراته . كم من المرات قامت بالتوقيع على اي شيء يقدمه لها وهي في منتهى الولاء ؟ إنها لم تكن تقرأ حتى ماتوقع عليه . كانت تثق به ثقة عمياء ، وقد استخدم هذه الثقة لصالحه . لقد كان اسمها جزءا من الثة ، بالضبط كما أن ماتملكه من اسهم كان حماية له ضد اي شخص يريد انتزاع قيادة الشركة منه . بينما هي تقبع طوع بنانه في "سمكس" ، لقد كان الوضع يروق له تماما ، ولكنها الآن بعد ان تركته ، اخذت تثير المشاكل في وجهه ، ولاعجب إذن ان يحاول جاهدا ان يسترجعها . إنها يمكنها ان تدمره لو شاءت .

وتناولا العشاء في ركن قصي في غرفة النهر الشهيرة ، يطلان على الحدائق المفضية إلى النهر ، وكانت "فرانسيسكا" على درجة من التوتر تحول بينها وبين ان تستمتع بالوضع ، فقد ظلت تتوقع ظهور "اوليفر" و"جانيس" ، ولكن ذلك لم يحدث . وحينما انتهيا من العشاء كانت قد بدات تميل إلى الذهاب إلى مسكنها بدلا من الذهاب إلى حفلة الاستقبال ، وبدات تعتذر لـ"مات" وهي تتثاءب قليلا :

- " إنني مرهقة فعلا يا"مات" ، واود العودة إلى البيت " .

وقال متوسلا :

- " ليس بعد ! لنبق نصف الساعة فقط في الحفلة ، إنني لم اتق مثل هذه المتعة منذ سنوات ! "

وضحكت لتعلقه الطفولي ولم تستطع الرفض ، ومن ثم فقد سالا عن مكتب الاستقبال ووجها إلى غرفة استقبال رحبة في الطابق السفلي . وفوجئت بـ"مات" يخرج بطاقة دعوة ، وابتسم لدهشتها .

- " إنني في الواقع كثيرا ما احصل على مثل هذه الدعوات لتناول المشروبات في سافوي ! واحتفظ بها في جيبي إلى ان تحين الفرصة لاجد الشجاعة لاستخدمها " . فقالت مداعبة :

- " من حسن حظك ان وافقتك إذن ! " وسلم هو البطاقة لموظف الاستقبال ، لدى الباب ، الذي سالهما بتجهم عن اسميهما ، ثم اعلنه بصوت جهوري جعلها تقفز وهما يدخلان الصالة غير الممتلئة . والتفتت الرؤوس إليهما ، وحملقت فيهما العيون ، واقبل عليهما

رجل بابتسامة مرحبة وهو يمد لهما يده .

- "مستر كيلنر مائيو كيلنر" ؟ يالها من فرصة سعيدة . إنني احد المعجبين بك منذ سنوات ، ولكم وددت مقابلتك في سفرياتي إلى المملكة المتحدة ، ولكنك كنت دائما مشغولا ، فلم يتح لي إلا لقاء شريكك ، مستر "رانسوم" "

- " شكرا لك ياسيد ..؟ " قال "مات" ذلك ووجهه يحمر لهذا الإطراء . وقال الرجل وهو يهز يده :

- " جراث " . ورد "مات" بابتسامة مترددة :

- " مستر "جراث" ، نعم ، لقد سمعت باسمك ولكن لاادري ... "

- " كلا ، "جراث" هو اسمي الأول ، اما الاسم فهو "ابي" "

- " ياإلهي ، فعلا ! مستر "ابي" ، لكم حدثني عنك شريكي "اوليفر" ، مستر "رانسوم" . وكان الرجل في حوالي الستين من عمره ، يميل إلى الصلع ، ذا عينين عسليتين حانيتين وجسد اقرب إلى البدانة . وابتسم لـ"مات" في تسامح ، كما لو أن مثل هؤلاء الرجال العباقرة يغفر لهم كل مايفعلونه او يقولونه ، ثم حول بصره إلى "فرانسيسكا" :

- " لقد ذكر المعلن ان اسمك مسز "رانسوم" ، هل انت زوجة "اوليفر" ؟ "

وهزت له راسها مادة يدها التي احتواها بين راحتيه :

- " يالها من سعادة مزدوجة " واخذ يتامل وجهها وجسدها مظهرا تقديره بادب جم :

- " وغير متوقعة ، كشان كل الفرص السعيدة بحق . هل ذلك لان "اوليفر" لن يمكنه الحضور . لقد ذكرت لي سكرتيرته انه قادم "

- " اوه ، إن "اوليفر" و"جانيس" قد يحضران متاخرين بعض الشيء " وطمانتها هذه العبارة بعض الشيء ، إذ فهمت منها انهما لم يحضرا بعد ، واستطردت :

- " إن لديهما بعض المشاغل " .

- " اه ، فهمت ، اهلا وسهلا بكما " وطرقع باصابعه للنادل الذي حضر حاملا صينية مصفوفا عليها كؤوس الشراب ، رفع "ابي" واحدة منها وناولها لـ"فرانسيسكا" و ناول"مات" كاسا اخرى ، ورفع هو كاسا ثالثة ، وقال :

- " نخب اخر مشروع لك يامستر "كيلنر" ، نخب "بورتا" ومسح وجه "مات" بعينيه الحادتين قائلا :

- " إنه هو ، اليس كذلك ؟ "

بلى ، واشرقت عيون "مات" ، ولكن الإجابة جاءت رقيقة من "فرانسيسكا" :

- " اوه ، إنه معجزة ، يامستر "ابي" ، إنه ابدع ماانتج "مات" ، وسيدخل الإنتاج قريبا ، سوف يكتسح العالم محدثا ثورة في عالم الحواسب الآلية " .

وبدا "مات" مصدوما ، إذ لم يكن تواضعه ليسمح له أن يذهب في إطراء وليده الجديد إلى هذا الحد ، مع شدة حبه له ، وتمعن "ابي" في وجهه ، يحاول أن يسبر غور عقله .

- " كذا ؟ اهي على حق يامستر "كيلنر" ، ام ان الامر لا يعدو مبالغة منها ؟ " وردت هي :

- " تعال لتشاهد النموذج التصميمي الأسبوع القادم " ونظر إليها "مات" مرعوبا .

- " هاي ، "فرانسيسكا" ، لايمكننا تقديم دعوة كهذه دون استشارة "اوليفر" " ورد "ابي" بسرعة :

- " سانتدبر الأمر مع "اوليفر" الاسبوع القادم ؟ اي يوم يا"مسز رانسوم" ؟" فردت ببرود :

- " الجمعة ؟ إن ذلك سيعطي "مات" فرصة لوضع اللمسات الأخيرة " .

وجاءهم صوت من ورائهم يقول باقتضاب :

- " من سيفعل ماذا ؟ " وتصلب جسدها وهي تلتفت ببطء لتواجه "اوليفر" ، وتعجبت إذ لم تجد "جانيس" معه . هل اوصلها إلى سكنها ، ام هي هنا مع مجموعة اخرى ؟

وعاد "اوليفر" يسال :

- " ما الذي سيضع له "مات" اللمسات الأخيرة ؟ " وكان يبدو نافد الصبر حين لم ترد عليه "فرانسيسكا" .

واخذ "مات" يغمغم بشيء من الإيضاحات ، كما قال مستر "ابي" شيئا ايضا وانصت لهما "اوليفر" بوجه متصلب ، ثم ركز نظرته

الصارمة على "فرانسيسكا" ، وعيناه العسليتان كالثلج .

لقد خطت اول خطوة في عالمه الخاص ، لقد ارتبطت بميعاد عمل دون استشارته اولا ، وعلى الرغم من انه يامل الكثير من وراء هذه الشركة العالمية ، بكسب امر توريد ضخم منها لجهاز "بورتا" ، إلا انه كان يستشيط غضبا لأن "فرانسيسكا" تصرفت من تلقاء نفسها .

ودلتها نظرته الباردة ووجهه الصارم انها اقتحمت منطقة نفوذه ، وتوقعت العقاب في الحال ولكنها رفعت ذقنها وبادلته نظرة متحدية من عينيها الزرقاوين . لقد حاولت ان تبين له بكل جلاء ، ودون أن تنبس بكلمة واحدة ، انها لم تعد تخشاه ، وليس له أن يظن بها ذلك ! ولم يكن هذا صحيحا بالقطع ، لقد كانت خائفة ، بل ومرعوبة إلى اقصى حد ، ولكنها لم تكن لتعطي "اوليفر" السعادة بان يرى إلى اي مدى يثير في نفسها الفزع .

لقد آن الأوان لأن تخرج من تحت كنفه كظل له ، وان تجعل لنفسها مكانا في العالم ، سواء قبل "اوليفر" ام "ابي" .

الفصل السابع

كان مستر ابي" رجلا حصيفا ، وكاغلب الرجال الذين يديرون مشروعات ضخمة، رجل تكتيك محنكا ، ناهيك عن الدبلوماسية . فبعد أن جال ببصره فيهم ، سارع باخذ "اوليفر" ليقابل اناسا آخرين ، بحيث لا يعطيه فرصة لإلغاء الموعد ، أو - وهو الاهم - ليتحدث مواجهة بينه وبين "فرانسيسكا" .

ولم تتمالك "فرانسيسكا" نفسها من إخراج زفرة ارتياح لانصراف "اوليفر"، وسمعها هو ، فالتفت يرميها بنظرة نارية ، وعلمت أن العواقب اجلت فقط ، وانه مامن سبيل لتفاديها .

لقد كان في قمة الغضب ، ولم يساورها شك فيما سيحدث عندما يختليان ببعضهما . لقد كانت محظوظة في الواقع انهما لم يكونا بمفردهما عندما اكتشف ذلك . ولم تندم هي على مافعلت . فـ"اوليفر" لم يعترض على المبدأ في حد ذاته ، بل كان سيسارع إلى إعطائهم فرصة مشاهدة النموذج التصميمي لو سالوه ذلك ، كل مافي الأمر انه غاضب لانها وجدت في نفسها الجراة لان تتصرف دون استشارته .

واخذ "مات" يهوّي على وجهه بيده قائلا :

- " ياإلهي .. يالها من لحظة ! أرايت وجهه ؟ " فردت وهي تنظر إلى الباب :

- " رايت يا "مات" ، إنني ذاهبة بينما "اوليفر" مشغول " . فرد على الفور .

- " اهكذا سريعا ؟ حسنا ، ساوصلك إلى المنزل " . ولم يكن متضاقيا لذهابها هو ايضا .

- " كلا ، بل ابق لتغطي رحيلي ، هل تفعل ذلك من اجلي ياعزيزي ؟ "

وبدا "مات" كارنب مطارد ، وسال وارتبة انفه ترتعش من العصبية :

- " هل يجب علي ان افعل ذلك ؟ " فقالت متوسلة :

- " ارجوك يا"مات" " . على الرغم انه لم يكن من الإنصاف تركه تحت رحمة "اوليفر" .

- " ولكن كيف ستذهبين إلى منزلك ؟ "

- "ساخذ سيارة اجرة بالتاكيد " وعادت نظراتها المتوسلة :

- " موافق يا"مات" ؟ اتنتظر لتغطيني ، وتعمل على الا يتبعني "اوليفر؟ " فزفر وقد اسقط في يده وكافاته بقبلة قائلة :

-" شكرا لك ، لك جميل في عنقي " ودارت ببصرها في حذر في الصالة الفخمة الرحبة إلى حيث يقف "اوليفر" وسط مجموعة من القوم. وكان يراقبها بزاوية عينه . فاخذت تتهادى متجهة إلى غرفة التزيين ، متظاهرة بخلو البال ، ثم اختفت في الغرفة . وحدث ما كانت تامله ، لقد كان لها باب اخر يؤدي إلى الطرقة ، واسرعت إلى المصعد ، وفي لحظات كانت في الطابق الأرضي ، وقفزت في إحدى السيارات المصفوفة انتظارا امام الفندق وقد انطلقت بها إلى حيث تقطن . وكان الوقت متاخرا ، والمرور غير مزدحم فلم تستغرق الرحلة ماكانت تستغرقه عادة رغم بعد مسكنها عن الفندق . ولم تكد تمر نصف الساعة منذ تركها للفندق ، حتى كانت في فراشها .

وعز عليها النوم طويلا، وحينما استيقظت على جرس الإيقاظ في الصباح ، كانت تشعر بدوار ، وعدم تركيز .

واسرعت تاخذ حمامها وترتدي ثيابها ، وتتناول القهوة وتفاحة

وشيئا من اللبن الزبادي ، وهي تشعر في كل ذلك انها مسيرة آليا ، فهي لم تنل سوى خمس ساعات ونصف الساعة قسطا من النوم ، في حين انها تنام عادة ثماني ساعات .

ولم يكن "مات" قد وصل حينما وصلت مكتبها . متى تمكن من الانصراف ياترى ؟ تساءلت وهي تقوم باعمالها الروتينية ببطء بين التثاؤب والصداع .

وحينما فتح الباب ، رفعت عينيها متوقعة "مات" ، ولكنه كان "اوليفر" ، متجهم الوجه عدائي النظرات .

وقال باقتضاب بعد أن صفق الباب وراءه :

- " لي كلمة معك " . وجفلت ، ورفعت يدها إلى جبهتها قائلة :

- " ارجوك الهدوء ، فإني اشعر بالصداع " . فقال وهو يعبر الغرفة في اتجاهها .

- " وهو ماتستحقينه تماما " . فقالت وهي تشعر بالضيق لاقترابه منها :

- " لاتتشامخ " .

فتجاهل ذلك ، وقال ووجهه على بعد بوصات من وجهها :

- كيف واتتك الجراة لأن تقحمي نفسك في ذلك الأمر الليلة الماضية؟ لقد كان من الممكن أن تدمري الصفقة باكملها " . فردت في تحد :

- " ولكني لم افعل " .

- " هذا من حسن حظك " .

- " لا دخل للحظ في ذلك ، فانا اعرف ماافعله " . فصرخ فيها :

- " ابعد خمس دقائق من عملك هنا ، اصبحت تعرفين مانقوم به منذ اشهر؟".

- " هذا حق . لقد شرح لي "مات" الأمر كله من اول يوم " . فرد في سخرية مثل برودة الجليد :

- " وبالتاكيد فهمت كل كلمة " فنظرت إليه غاضبة :

- " ولماذا لا افهم ؟ لقد بدات مع هذا العمل من اول السلم ، لاتنس ذلك ، وقد تابعت كل ماكان ينتجه "مات" ، كما اني افهم الكثير عن الحاسبات الآلية يا"اوليفر" ، لايمكنك إنكار ذلك ، وادرك تماما مدى

اهمية تسويق "بورتا" للامريكان ، ولهذا السبب دعوت "جارث" لمشاهدة النموذج التصميمي " .

وسالها مشدوها :

- " جارث" ؟ "

- " مستر "ابي" ، إنه هو الذي طلب مني أن اناديه باسمه الأول " .

فنظر شزرا .

- : أوقد فعل ؟ وماذا فعل غير ذلك ؟ وهل دعاك إلى عشاء خاص في جناحه في الفندق ؟ "

ردت ببرود :

- " كلا بالتاكيد ، لقد كان حديثنا عن العمل " .

- " من المحتمل انه كان سيفعل ، لولا فرارك مع "مات" " ونظر إلى غرفة معمله " سيكون لي معه شان ، بعد الانتهاء منك " .

- " إنه لم يعد بعد " .

- " هل تركته في الفراش " . ورمته بنظرة نارية :

- " إنني لم اره منذ ليلة امس ، لقد ظل ورائي في الفندق حين غادرته . كما انه ليس بيني وبينه علاقة " .

- " إذن لماذا تبدو علاقتكما غامضة كاللصوص ؟ "

- " ولماذا تصاحبك "جانيس" في كل تحركاتك ؟ "

- " إنك خير من يعلم انها سكرتيرتي " .

- " حسنا ، واحدة بواحدة ، وانا سكريترة "مات" ، ولهذا تراني دائما معه " .

وكز على اسنانه ، واخذت تراقب سورة غضبه صامتة ، وحملقة عينيه ، وانفجر صائحا :

- " حسنا ، ولكن إياك أن تتدخلي في اعمال البيع . إنها إدارتي . و"مات" مسؤول عن الأبحاث والتطوير ، ولا اتدخل في عمله ، ولا اريد منه ، اومنك ، التدخل في عملي " .

وسالته وهي تفتح عينيها الزرقاوين العميقتين على اخرهما .

- " وماذا عن " إدراتي "انا ؟ "

ونظر إليها غير مصدق اذنيه :

- " إدارتك ؟ "

- " إني املك ثلث أسهم الشركة " . وتصلب وجهه ، بينما استطردت هي برنة ظفر :

- " كما انني احد المدراء ، وإن لم يسبق لي حضور مجلس الإدارة ، وهذا ماسافعله من الآن مادمت في لندن " .

وبدا "اوليفر" كرجل سقط في شبكة ، لاحول له ولاقوة ، سالها ساخطا:

- " ماذا جرى بحق السماء ؟ إنك زوجتي ! وقد كان في هذا كفايتك ، فلماذا اصبحت قلقة فجاة و لاتكتفين بذلك ؟ ماذا حدث لك يا"فرانسيسكا" ؟ إنك لست المراة التي تزوجتها " .

فردت في برود :

- " اريد أن اشارككما الإدارة ، انت و"مات" " . ونظرت إليه وهو يفغر فاهاً.

- " لقد بدانا هذه الشركة معا ، ولقد دفنت في الريف مافيه الكفاية ، وسوف اشارككما العمل منذ الآن " .

واستمر محملقا فيها ، وقد توترت كل عضلة في وجهه من الصدمة والغضب ، ثم اخذ نفسا عميقا وسال ساخرا :

- " اهذا كل مافي الأمر ، بالتاكيد لديك مطالب اخرى غير معقولة " .

فقالت وهي تبتسم فجاة :

- " واحد فقط ، افصل "جانيس" "

وتغير وجهه ، ولمعت عيناه وسال بخبث جذلا في صوت ناعم :

- " اه ، إنك تغارين منها " وتصاعد الدم إلى منابت شعرها .

- " انا اغار منها ؟ إنك تمزح بلا شك . إذا كنت تريدها ، فخذها ، وانظر إن كنت اهتم " وشعرت بجوفها يحترق من الألم ، وتقلصت يداها حتى انغرست اظفارها في راحتي يديها ، ولكنها حافظت على راسها مرتفعا ، فهي لن تدعه يرى غيرتها . كما انها لن تجعله يفزعها، وكرهت تلك الابتسامة في عينيه ، فكزت على اسنانها :

- " ولكن تذكر ، كل مايمكنك عمله ، يمكنني أن اعمل افضل منه ! فإن كنت تريد أن تنطلق على حريتك ، فسينطبق هذا علي ايضا . لن ادعك

تبقيني متخلفة عنك ، لافي العمل ولا في اي شيء آخر . إنني في لندن، وفي هذه الشركة وساظل باقية ، وعلى قدم المساواة معك " .

وقال لها في صوت أجش :

- " عودي إلي يا"فران" وكاد قلبها يتوقف . لقد توقف عن إيذائها ، وتهديدها ، وإصدار الأوامر إليها ، إنه يستجدي ، ولهذا مغزاه بالنسبة لها ، ولكن ، هل لايزال يحبها رغم ذلك ؟ ام انها هي الشركة التي يحب ، ويريد أن يحافظ عليها باستبقائها معه ، ولو ركع على قدميه في سبيل ذلك ؟

فقالت رافضة أن تقع في الشرك :

- " ليس الأمر بهذه السهولة ، إذا كان لنا أن نبدأ من جديد ، فعليك ان تعيد التفكير في تصرفاتك إزاء زواجنا ... "

فقال وهو يجلس على حافة المكتب :

- " وهذا ما افعله الآن " وانحنى إليها ، وامسكت كلتا يديه براسها، فنظرت إليه في اضطراب ، وعيناه تشعان بالمداعبة ، وأخذ ينزع من شعرها دبابيس تسريحته .

- " إنك اكثر إغراء وشعرك منسدل على كتفيك " فقالت معترضة :

- " أوليفر" قد يدخل اي شخص ... " وشعرت بالسخونة في وجهها وشعرها ينزل على ظهرها .

وامسك بشعرها يجذبه حتى تميل براسها إلى الوراء ويواجه وجهها وجهه ، ثم مال تجاهها عدة بوصات أخرى .

- " إنك تؤلمني " ولكن الكلمات اختنقت في حلقها بضغط شفتيه على شفتيها، بهذه الرغبة الحلوة التي دار لها راسها ، فاغلقت عينيها ، ومالت إلى الوراء في وهن ، ومدت يديها تمسك بوجهه ، وتبادله القبلات ، والهبت وجناتاه راحتي يديها .

وابعد شفتيه ، وفتحت عينيها لتنظر إليه في دوار وهمس لها :

- " انتقلي إلى مسكني الليلة " وكانت هناك رعشة في صوته .

وسرت رعشة في بدنها ، وجف حلقها ، وبدا انه قد مر عليهما دهر لم يستمتعا فيه بحبهما معا . ووصلت الرغبة عنده إلى درجة الألم ، ولكنها لاتزال محتاجة إلى وقت للتفكير ، لاتزال مشكلة علاقته

بـ"جانيس" لم تحل ، وإلى أن يتم ذلك ، لن تاتمنه مرة أخرى على سعادتها .

وسالته :

- " وماذا عن "جانيس" ؟ .. اصدقني القول يا"أوليفر" ، هل أنت على علاقة بها " ؟ فقال وهو يقبل عنقها بشفاه ملتهبة متوسلة :

- " لا ياحبيبتي ؛ لا " .

ولم يكن بمقدورها رؤية عينيه لتعرف مدى الصدق فيهما ، ولكنها كانت تود من اعماقها أن تصدقه . وقالت :

- " إنها مغرمة بك ، لاتنكر ذلك يا"أوليفر" " . فهز كتفيه قائلا :

- " كل ماأعرفه هو انها سكرتيرة جيدة ، فهل ستصدقينني يا"فرانسيسكا" أم لا ؟ " وكان صوته قد بدا عليه الضيق .

وتنهدت قائلة :

- " أعطني مزيدا من الوقت للتفكير " .

وتحول الضيق إلى نفاد صبر :

- " تفكرين في ماذا بحق السماء ؟ " وكان الغضب قد بدا يعتريه إذ لم تستسلم له على الفور ، وقالت :

- " فينا يا"أوليفر" ، في زواجنا ، وما إذا كان سيقدر له النجاح لو بدانا نعيده من جديد - والصياح في وجهي ، أو فرض إرادتك علي بطريقتك هذه لن تجعلني متفائلة حول مستقبلنا معا ! لقد تركتك اصلا لأنك كنت تعاملني كدمية في علبتها ، وضعتني في "لامبورن" وامرتني أن اظل هناك ، وابعدت ابني عني غير عابئ حين قلت لك كم سافتقده ، وكم ساكون وحيدة لبعده عني، ولا تعود إلى المنزل أبدا ، وإن فعلت فوسط حشد من الناس. لقد جعلت مني مدبرة منزل لازوجة. ولم تكن تعرف كيف اعيش خلال السنوات الماضية ، كل ذلك يجب أن يتغير . أريد من الآن فصاعدا أن اشاركك كل شيء - ليس فراشك فقط يا"أوليفر" . أريد أن اعمل معك . اناقش المشاكل معك . أراك كل يوم ، وليس كلما يحلو لك ذلك . هذا هو الزواج الذي أريده ، مشاركة كاملة .

" كان "أوليفر" ينصت إليها محملقا ، في عينيه ظل غامض ، ويكسو وجهه قناع لايكشف عن مشاعره وحينما "أنهت حديثها ، لم يقل شيئا

عدة لحظات ، ونهش القلق قلب "فرانسيسكا" حول مايفكر فيه هل فهم أخيرا ماتريد ؟ ولماذا تركته وجاءت إلى لندن ؟

وتكلم أخيرا في صوت هادئ :

- " لكم تغيرت يا"فران" . أتدركين ذلك ؟ لقد جعلت رأسي يدور . هل أنت الفتاة الخجلى الرقيقة الهادئة التي تزوجتها ؟ لقد كنت كذلك حينما تزوجتك ، وكنت تهيمين بي غراما . ولكن ما إن أنجبت "چون" حتى كرست له نفسك . إنك أم مثالية ، ولا أقول إنه كان يجب أن تكوني غير ذلك - ولكن لم يكن لديك وقت لي على الإطلاق كنت منصرفة للوليد ، فإذا ما خلوت لي فمجهدة على الدوام . وما إن شب "چون" قليلا حتى ظننت أنك ستقتربين مني مرة أخرى ، وقد فعلنا ذلك فترة، ولكن سرعان مابدأت تتكلمين عن طفل ثان ، وكنت أعلم أنه لو تم ذلك ، فستعود الكرة ، وتصبحين لهما كلية وليس لي ، ووددت لو لم يتحقق ذلك ، وسبب لك ذلك الحزن ، وشعرت بالذنب ، فحاولت أن أحقق لك رغبتك ، ولكن لم أستطع".

وحملقت فيه واجمة ، مذهولة بماتسمع ، ونظر إليها "أوليفر" نظرة تفيض حزنا ، وهو يلف جدائل شعرها بأصابعه ، ويراقبه وهو ينسدل على جسدها ، وعيناه شبه مغمضتين .

- " لا تدرك النساء معنى ذلك بالنسبة للرجال . لقد كان ذلك يمزقني، شاعرا بالشقاء والغضب في آن واحد . وازداد الأمر سوءاً بطلبك استشارة طبيب ، إذ خشيت أن أكون أنا السبب ، أن أكون ... " وتوقف فجأة مغمضا عينيه ، ثم تمتم في صوت متثاقل : " .. عاجزا ". وعبس:

- " لقد كنت أشعر بالسقم لمجرد ذكر هذه الكلمة ، والحت هذه الكلمة على عقلي حتى انتهى بي الأمر إلى تحاشي الحضور إلى المنزل حتى لا أجد نفسي ذات يوم عاجزا عن إرضائك ، فضلا عن إعطائك طفلا " .

وأخذت "فرانسيسكا" نفسا عميقا مضطربا :

- " الهذا كنت تباعد بين حضورك إلى البيت ؟ " وهز رأسه دون أن ينظر إليها . - " لماذا لم تخبرني ؟ " وعادت بفكرها إلى السنوات الماضية ، تفكر كم كان فيها شقيا . لقد لاحظته يتباعد منسحبا ، ويزداد برودا وجفاء تجاهها، وهي تفهم الأمور على العكس تماما .

- " لم أستطع ! كانت مجرد فكرة إخبارك تفزعني . لقد كنت في غاية الخجل يا"فران" . ومال برأسه يسندها على كتفها ، يرتعش كحصان مذعور . وربتت بيدها على شعره ، تتمتم له بكلمات التسرية والحنو ، تماما كما تفعل مع "چون" بالضبط :

- " لاعليك ياحبيبي ... لابوجد ماتخجل منه ، كل الأمور على مايرام".

وتوقفت الرعشة الحادة وظل ساكنا يقلب وجهه على رقبتها . وقالت له "فرانسيسكا" في هدوء :

- " لو كنت أعلم يا"أوليفر" ، لما تأخرت عن مديد العون إليك ، وماكنا قد ابتعدنا عن بعضنا بهذه الصورة ... ولم يكن ليدهشني أن أجد أن كل ما في ذهنك لم يكن إلا وهما ، ولم يكن هناك مايمنعك من الإنجاب مرة أخرى . لم يكن الأمر سوى الغيرة من "چون" ، ثم الشعور بالذنب ، ثم الخوف من عدم القدرة على الإنجاب ، كل هذه المشاعر ، وليس من سبب عضوي ، وكل ماكنا في حاجة إليه هو أن نتكاشف ونتصارح ، وأن يخرج الموضوع إلى الضوء ، ولوحدث هذا لتلاشى على التو " .

وتمتم دون أن ينظر إليها :

- " الكلام سهل ، ولكن الفعل صعب إنك لاتدرين كم عانيت لأخبرك الآن ، ولم أكن لأتجرأ على القيام بذلك من قبل " .

فابتسمت في إشفاق وقالت

- " أتعني قبل أن أتركك ؟ "

وهب واقفا ، ثم مشى إلى النافذة يطل منها ، ويسوي بيده شعره الكثيف الذي فقد هندامه ، وقال في اقتضاب معترفا ، وظهره لها :

- " نعم ، لقد افقدتني الأرض التي اقف عليها . إنني لايمكنني أن افقدك يا"فران" عودي إلي ، ولنبدأ من جديد ، بهذه المشاركة الحقة التي تنشدينها - لقد بدأت ادرك ان هذا هو الصواب ، عيشي معي في لندن، وشاركيني العمل، وكل ساعات يومي "

فردت مستغرقة في التفكير :

- " ولا أولاد آخرين ؟ " وراقبته وهو يضم قبضة يديه .

- " لقد قلت مشاركة تامة ، اليس هذا ماتريدين " . فردت : - " بلى " .

وقررت الا تثير معه مسالة الإنجاب ، فهذا يمكن ان ياتي في الوقت المناسب من المستقبل . واستدار محملقا فيها عبر الغرفة :

- " إذن ستاتين إلى مسكني اليوم ؟ " فردت مبتسمة :

- " امهلني بعض الوقت ، فامامنا متسع منه ، ولسنا في عجلة " فرد متجهما :

- " بل إني كذلك ... إنني أريد ... "

وفتح الباب فجاة قبل ان يكمل عبارته ، وقفزا معا ، بينما "مات" يدخل مترنحا تحت ثقل كومة من مكونات الكمبيوتر ، وحملق فيها من فوق حمله ، وقال محرجا :

- " اوه ، هاي " واختفى في غرفة معمله

ونهضت قائلة:

- " الأفضل ان ادخل لأساعده " . فامسك بذراعها قائلا :

- " لا تجعليني انتظر طويلا ، فصبري قد ينفد . "

وابتسمت له ، وأحست برأسها يدور لطريقة نظرته إليها ، ولصوت انفاسه المتلاحقة ، ثم جاءتهما جلبة أشياء وقعت في غرفة المعمل ، وصوت "مات" يسب ساخطا ، فهتفت :

- " يجب ان اذهب إليه .. " وجرت تاركة "اوليفر" واقفا مكانه عدة ثوان ، ثم غادر الغرفة ، صافقا الباب وراءه . ووجدت "مات" راكعا على ركبتيه يجمع الأشياء الواقعة على الأرض ، ويتفحص كل قطعة منها .

وسالته وهي تركع بجواره لتساعده :

- " هل كسر شيء " ؟ فهز راسه قائلا :

- " لا اظن ذلك " . وهبا معا يرتبان القطع على الطاولة التي افسح عليها "مات" مساحة مما هو مكدس عليها من مهمات واجهزة إلكترونية .

وسالها وهو يجلس على كرسيه ، ويلتقط عدسة يفحص بها التوصيلات الكهربية لإحدى لوحات التوصيل الإلكترونية :

- " هل هو غاضب ؟ ! فقالت :

- " لا ، ليس هذه المرة "

- " هل هو مستاء لتحديدنا الموعد مع "جارث ابي" لمشاهدة "بورتا ؟"

- " لقد بدا يشكو من ذلك ، ولكني لا اعتقد انه جاد في ذلك " .

وبدا الارتياح على وجهه :

- " اوه ، شكرا للرب على ذلك ! إن إحساسي بـ"اوليفر" وهو ينفث نيرانا خلفي يجعلني في منتهى العصبية " ثم رفع بصره إليها عابسا:

- " ولكني أؤكد لك ، لن ياتي يوم الجمعة إلا واكون قد جعلت "بورتا" في منتهى الإتقان " .

قالت :

- " ستفعلها وإحدى يديك وراء ظهرك " . فابتسم لإطرائها ، وقال :

- " شكرا على هذه الثقة ، ولكني محتاج إلى يديّ كلتيهما ، ولن اقيد إحداهما وراء ظهري " وضحكت لدعابته ، واحضرت له قهوته ، ثم تركته ينصرف إلى عمله بينما انصرفت هي إلى عملها . وظل "مات"

يعمل بجد طوال الأيام التالية ، وكان دائما موجودا ، منكبا على طاولة التشغيل الخاصة به حينما تحضر في الصباح ، وتتركه وهو منكب عليها . ولم يساورها شك في أنها لو جاءت في منتصف الليل ، لوجدته لايزال منكبا عليها .

ولم تر "اوليفر" كثيرا في تلك الأيام ايضا ، حيث سافر إلى بروكسل في مهمة عمل ، وعلى الاقل ، فهو لم ياخذ "جانيس" معه هذه المرة ، فكانت تصادفها كثيرا في الطرقات ، وعند المصاعد ، حيث يتبادلان نظرات باردة ، وإن بدا على "جانيس" انها اصبحت اكثر حذرا ، فلم تعد تلقي بتلميحاتها الشائكة . هل قال لها "اوليفر" شيئا ؟ تساءلت "فرانسيسكا" ، ولم يكن بإمكانها ان تتوقف عن التساؤل عما يكون قد جرى حقيقة بين "اوليفر" و"جانيس" .

لم تكن جادة تماما حين طلبت منه فصلها ، ولكن شيئا ماداخليا كان يخبرها بان زواجهما لن يكون في امان طالما بقيت صاحبة الشعر الاحمر هذه تحوم حول"اوليفر"، فهي تريده ايضا ، وتفضحها نظراتها الغيرى كلما نظرت إلى "فرانسيسكا" .

لقد اقسم "اوليفر" انه ليس على علاقة بها ، فهل كان كاذبا ؟ أم هل اخبر "جانيس" بان علاقتهما قد انتهت ، حاليا على الاقل ؟

لكم تتمنى ان تكون واثقة منه ، ولكنه إنسان كتوم ... الم تر كيف اخفى مشاعره عنها طوال السنوات الاخيرة حول موضوع الإنجاب ؟ إنها لم تشعر باي شيء مما كان يجول في عقله طوال تلك المدة ، وإن كان قد اخبرها الآن ، فماذا ياترى يخفي في داخله ؟

إذا كان على علاقة بسكرتيرته ، فهي تريد ان تعلم ، حتى لو كانت هذه العلاقة ، قد انقطعت . وقد لا يكون مزمعا ان يعاود تلك العلاقة ، ولكن إذا ظلت "جانيس" تعمل معه وترمي شباكها حوله ، فهل ستقبل هي هذه الصورة من قطع العلاقة .

ومهما كان وجه الحقيقة ، فـ"فرانسيسكا" تريد كشفها قبل ان يمكنها ان تلق في "اوليفر" مرة اخرى .

وعاد "اوليفر" صباح الجمعة ، مصمما ان يكون موجودا عند حضور مستر "ابي" . واتجه مباشرة إلى معمل "مات" حيث وجده محنيا على جهازه ، لايزال يجري التجارب النهائية وعمليات الضبط الدقيقة . وسمعت "فرانسيسكا" صوت "اوليفر" وهي عائدة بعد تناول القهوة مع بعض الفتيات .

فاهتز قلبها بصورة شعرت معها بالدوار ، ووقفت تاخذ عدة انفاس عميقة قبل ان تدخل المعمل . واعتدل لينظر إليها ، وبدا لناظريها اطول من المعتاد ، وشعره الاسود مصفف جيدا ، ومعطفه الكشمير على ذراعه ، وحلته غاية في الأناقة .

وقالت في شيء من الخجل :

- " اهلا " .

وابتسم لها بعينين فيضان دفئا :

- " "هاللو" .

واستمر "مات" في عمله ، غير واع على الإطلاق بالجو السائد من حوله ، وبالطريقة التي يتبادل بها رفيقاه النظر لبعضهما .

ودق جرس التليفون ، واسرعت "فرانسيسكا" تجيبه ، واختفت ابتسامتها حين تعرفت على صوت "جانيس" حاد النغمات .

وسالتها على التو :

- " هل "اوليفر" هنا ؟ لقد اخبرني مكتب الاستقبال انه هنا في المبنى، ولكنه لم يحضر إلى مكتبه " . فردت ببرود :

- " نعم ، سانناديه لك " ووضعت السماعة جانبا ، وذهبت لتخبره ، ورمقها بنظرة سريعة حينما ذكرت له ان "جانيس" تريده ، ثم ذهب إلى مكتبها ، ولم تتبعه هي ، بل بقيت مع "مات" ، واذنها تحاول جاهدة ان

تلتقط حديث "أوليفر".

وعاد إلى باب المعمل ، وقال :

- " علي أن أنصرف ، وساعود حينما يحضر "أبي" ".

ولم تلتفت إليه ،ولم يلتفت "مات" أيضا ، إذ لم يكن شاعرا تماما بوجوده ، وظل هو واقفا لحظة ، ثم انصرف .

وحضر مستر "أبي" بعد عدة دقائق ، واتصل مكتب الاستقبال لإخبار "فرانسيسكا" ، قائلين: إنهم لم يستطيعوا الاتصال بمكتب "أوليفر" ، فهو مشغول بمكالمة مع "هونج كونج" ، ولايمكنهم قطعها . فقالت :

- " ساحضر لاستقباله ، دعوا هذا الأمر لي ".

ونزلت إلى حيث كان الضيف منتظرا ، وابتسم ابتسامته المهذبة حينما عرفها، ومد يده :

- " مسز "رانسوم" ، يالها من سعادة ! كيف حالك ؟ "

وظل يحادثها طوال الطريق إلى معمل "مات" ، حديثا خفيفا لم تجد صعوبة في مجاراته . وصحبته إلى المعمل ، وعرضت أن تقدم له قهوة، ثم عادت بعد لحظات بقدحين ، وضعهما الرجلان بجوارهما على الطاولة ثم عادا إلى حديثهما عن جهاز الكمبيوتر المتنقل الحديث. وراقبتهما جذلة ، ثم اسرعت لتحاول الاتصال بـ"أوليفر" ، ولكن الخط كان لايزال مشغولا ، فطلبت "جانيس"، وظل الجرس يرن دون إجابة . وعبست "فرانسيسكا" مترددة . إن "أوليفر" سيثور غاضبا لو لم يخبروه على الفور بحضور "أبي" ، لم يبق أمامها إلا أن تذهب إليه وتخبره شخصيا .

وعادت تخبر "مات" أنها ذاهبة ، ولم يزد على أن هز رأسه ولوح بيده لها ، وهرعت هي عبر الممشى الطويل ، ثم صعدت الدرج ، وقطعت كل ذلك جريا .

ولم تكن "جانيس" في مكتبها ، وهو مايفسر عدم الرد على تليفونها،

لعلها في فترة الراحة تتناول القهوة .

وفتحت "فرانسيسكا" باب مكتب "أوليفر" ، وفي نيتها أن تهمس له برسالتها إن كان لا يزال منهمكا في مكالمته .

ولكنه لم يكن كذلك . وتجمدت من توها ، وانغرس في قلبها نصل حاد من الألم لما تراه يدور في الغرفة ، لم يكن "أوليفر" يتكلم في التليفون ، ولم تكن "جانيس" تتناول القهوة ، بل كانت جالسة على حجره ، مطوقة عنقه بذراعيها ، ومنكبة عليه تقبله تقبيلا .

الفصل الثامن

لابد أن "فرانسيسكا" قد أصدرت صوتا ، شهقة ربما ، صرخة مكبوتة من الألم أو الصدمة ، رغم أنها لاتدرك أنها أبدت أي رد فعل أو حركة .

إلا أن "أوليفر" لابد أنه قد شعر بها ، لأنه أمسك بيد "جانيس" فجأة ينزلها من فوق حجره ، ويدفعها بعيدا عنه ويدفع رأسه بعيدا عن الشفاه التي تطارد شفتيه ، والقى نظرة على الباب ، و"جانيس" لاتزال تضحك في استهتار ، تدغدغه وتداعبه ، وأمكنه أن يحملق في المرآة من فوق شعرها الأحمر المهتز وقد غاض الدم من وجهها لدى الباب . واكفهر وجهه ، واحتقن ذعرا ، وبدا عليه الاضطراب ، والشعور بالذنب، وكل المشاعر التي تليق بموقفه ذاك . لقد ضبط متلبسا ، ولن يسعه الإنكار بعد ذلك .

تمالكت نفسها ، وقالت في صوت أجش :

- " مستر "آبي" موجود" ولم تنتظر منه ردا ، ولم ترد أن تسمع

ماسوف يقوله ، لقد رأت مايكفيها ، ولن تدعه يواصل كذبه عليها .

وصاح في صوت عميق :

- " فرانسيسكا " ! " وهي تستدير على عقبيها ، ولكنها تجاهلت نداءه ، وأغلقت الباب بعناية قبل أن تعود إلى معمل "مات" .

لقد كان غباء منها أن تصدم أوتشعر بالخيانة بهذه الصورة . ألم تشك في هذا الأمر من البداية ؟ لقد كانت تتساءل منذ عدة أشهر عن سبب فقد "أوليفر" الاهتمام بها وعن غيابه وتباعده الجاف ، وتلتقط لمحات الشر والكراهية في صوت "جانيس" كلما تحادثنا في الهاتف . كل هذا يؤدي إلى إجابة واحدة - هناك علاقة بين "أوليفر" وسكرتيرته - وكان كل شخص يلمح ذلك منذ وصولها ولم يتمالك "مات" نفسه من إخفاء شكه كلما ورد ذكر "جانيس" ، فضح نفسه بتعبيرات وجهه المستاءة .

لقد كذب عليها "أوليفر" ، بينما يبدو واثقا من نفسه تماما كلما تحدثا عن "جانيس" ، أما "جانيس" فكان الذي يهمها دون شك أن تعلم هي ، بل قد عملت على أن تعمق هذه الفكرة فيها ، فمن مصلحتها أن تكون علاقتها مع "أوليفر" على المكشوف ، إنها فتاة ذكية وطموح ، وتتوق إلى وضع أكبر من عشيقة لـ"أوليفر" ، تريد أن تكون زوجته ، حسنا ، ربما تكون قد حصلت على ماتريد الآن .

وتوقفت عند باب المعمل ، تأخذ نفسا عميقا وتجاهد لتتمالك نفسها وتخفي مشاعرها . ولم تدفع باب المعمل إلا بعد أن تأكدت من أنها تبدو على مايرام .

ورفع مستر "أبي" نظره إليها وابتسم :

- " آه ، مسز "رانسوم" ، ياله من جهاز ، ذلك الذي بين يدي مستر "كيلنر" ! لقد اتخذت طريقة تشغيله بلبي ، ولكن الفيصل في الموضوع هو إن كان الجهاز سهل الحمل فعلا كما يدعي هو " .

وتمكنت من رسم ابتسامة مشرقة كرد عليه ، وتوجهت إلى طاولة العمل وقالت: "مات" :

- " عن إذنك ؟ " وابتسم لها ، ثم جلس وأخرج من الجهاز البرنامج الذي كانا يديرانه . وما إن انتهيا ، حتى أخرجت جهاز التسجيل ، وأطفأت الجهاز ، وفصلته عن مصدر الكهرباء ولفت كابل التوصيل حول وحدة الشاشة ، ووضعت الوحدة في صندوق الحمل ، ثم ثبتت وحدة المفاتيح في جانب منه وأحكمت تربيط المجموعة كلها ، ورفعت يد الحمل ، ثم وقفت ، وسارت بالجهاز في صندوقه إلى الباب تحت مراقبة الرجلين .

واستدارت عند الباب ، ووجهت كلامها لمستر "أبي" : انظر ، لقد استغرق الأمر أقل من دقيقتين للذهاب به كل هذه المسافة ، من جهاز كان شغالا " . وهز رأسه لها ، ثم عادت هادئة وناولته الصندوق ليجرب كم هو خفيف .

وتناوله ، وحمله ليختبر وزنه ، ثم هز رأسه قائلا :

- " مدهش ، ولكنه محتاج إلى مصدر كهرباء لتشغيله .

- " بل يمكنك تحويله إلى البطاريات القابلة لإعادة الشحن ، إنها تعمل بلا نهاية طالما حافظت عليها موصلة بمصدر الكهرباء عدة ساعات اثناء التشغيل " .

وفتح الباب فجأة ، ودخل "أوليفر" ، صارم الوجه متجهما ، وعيناه تجولان في الغرفة بحثا عنها . وبذلت هي جهدا خارقا كل بالنجاح للتحكم في تعبيرات وجهها .

وقالت ببرود موجهة حديثها لـ"أبي" :

- " ها هو ذا زوجي " وتقدم إليه "أبي" مادا له يده بالتحية بينما لايزال يحمل الجهاز بيده الأخرى .

وقال لـ"أوليفر" وهو يشير على يده :

- " ياله من دمية رائعة . هذا الجهاز " .

ولم يدرك مدى معاناة محادثه ليستر ضيقه وأن يتمثل الأدب معه ..

وقال له "أوليفر" :

- " أوه ، أهو كذلك ؟ شكرا لك " . والقى بنظرة جانبية لـ"فرانسيسكا"

وقالت "فرانسيسكا" بسرعة :

- " ولكنه ليس بدمية " . وادار لها "ابي" نظره ، تعلوه تلك النظرة الملائكية .

- " حسنا ، لست اتصور عددا كبيرا من رجال الأعمال يحملونه ضمن امتعتهم ، او يصطحبون سكرتيراتهم ليعملن عليه . وإذا كنا لن نبيعه باعداد كثيرة لرجال الأعمال فما قيمته إذا لم يكن دمية " .

ردت "فرانسيسكا" في إصرار :

- " سيشتريه رجال الأعمال . سيكون لهم جهازا لاغنى عنه ، يمكنهم به تخزين البيانات اثناء رحلاتهم ، لينقلوها إلى الأجهزة الثابتة بعد ذلك ، وايضا كوسيلة اتصال للبيانات مع مكاتبهم عبر خط تليفوني ، دعني ارك " .

وتناولت منه النموذج التصميمي بكل أدب ، وبدا "مات" يشرح هذه الميزة لـ"پورتا" و"اوليفر" واقف في صمت خلف "فرانسيسكا" ، تكاد كتفه تلمس كتفها ، وكانت واعية تماما للاهتزازات الصادرة منه . إنه راغب تماما في بيع "پورتا" للامريكان ، ولكنه في هذه اللحظة كان عاجزا عن التركيز ، كانت موجات الياس والتوتر تجتاحانه ، وقررت "فرانسيسكا" ان تنصرف توا بعد العرض تفاديا للاصطدام ؟

وقال "مات" بسعادة :

- " إن "پورتا" صغير وخفيف ، إلا ان إمكاناته هائلة " . لقد كان مشروعه الأخير هو اكبر إنجازاته ، وها هو ذا يراه حقيقة واقعة ، ولمعت عيناه وكان كلما تلاقت عيناه بعيني "فرانسيسكا" ، اشرق وجهه. كان مبتهجا لرد فعل مستر "ابي" ، وحتى ولو كان هذا الأخير قد انهمك " ليكتشف عيبا في الجهاز. فلقد وضع "پورتا" موضع الاختبار ، وحتى لو فرض واكتشف "ابي" فيه عيبا ما ، فإنه سيسعده ان يعمل كعبد رقيق إلى ان يزيله .

ولم يتناس "ابي" "فرانسيسكا" ، فنصف اسئلته الهادئة كانت موجهة إليها ، واستطاعت هي ببراعة الرد عليها ، وإن كانت ترد

النظر إلى "مات" بين الحين والحين لتستلهم منه التاييد .

وهتاها مستر "ابي" أخيرا :

- " إنكم متاكدون تماما من إنتاجكم يامستر "رانسوم" ، وإنكم بالفعل، انتم الثلاثة تمثلون فريقا رائعا " .

منذ عدة ساعات فقط ، كانت هذه العبارة ستقع في أذنيها كلحن موسيقي ، اما في تلك اللحظة ، فقد وجدت صعوبة في الابتسام .

وكان "اوليفر" يرقبها ، وكانت تمسك انفاسها خشية فرار زفرة من جوفها . لن تعطيه فرصة ليسعد بما سببه لها من جرح . وكان "مات" يشرح إحدى خصائص "پورتا" الأخرى ، و"ابي" منحن بجواره يستمع بانتباه ، وامسك "اوليفر" بذراعها ، وتصلب جسدها ، ورمقته بنظرة ازدراء ، وهي تحاول في صمت التخلص من قبضته ، دون ان تجتذب انتباه احد ، وهمس لها :

- " تعالي إلى الخارج " .

هزت راسها وتمكنت من تحرير نفسها ، وابتعدت على الفور عنه ، جاعلة نفسها امام بصر مستر "ابي" .

وتلاقى حاجبا "اوليفر" ، الأسودان الكثيفان فوق عينيه العسليتين ، ولكنه لم يبذل جهدا اخر لان يختلي بها . وبعد لحظة ، قال :

- " مستر "ابي" هل لديك وقت لتتناول الغداء معي اليوم ؟ "

- " كان بودي ، فلسوء الحظ لدي موعد اخر ، ولكني اتعشم ان نلتقي مرة أخرى على الغداء قبل عودتي إلى امريكا " . ثم القى نظرة على ساعته :

- " إنني في الواقع ممتن ان ذكرتني ... علي ان انصرف حالا وإلا تاخرت . مستر "رانسوم" ، هل يمكننا ان نبدا في وضع الحقائق والأرقام الآن ؟ لقد اخذت كفايتي من المعلومات عن "پورتا" ، وهو مانبحث عنه فعلا .. إذا كان السعر مناسبا بالتاكيد ! فلو ارتفع سعره عن مقدرة المشترين ، فلن تجد له مشتريا مهما كان فيه من مزايا " .

وابتسم ابتسامته الهادئة التي تخفي عقلا متوقد الذكاء ، وجاويه

"أوليفر" بابتسامة متخابثة ، فهو لم يخدع بمظهر البراءة على وجه عميله .

- " تعال إلى مكتبي ، حيث يمكننا بحث التفاصيل في هدوء "

- " شكرا لك " .

وصافح "مات" ، وبعده "فرانسيسكا" ، شاكرا لهما ما بذلاه معه من جهد ، وتبع "أوليفر" خارجا .

وقال "مات" بمرح :

- " شخص لطيف . إنه يعرف تماما السوق الذي يتعامل معه . لقد ذكرني كثيرا من المعلومات وانت غير موجودة ، إن اليابانيين متطورون جدا في مجال عملي ، وسنكون محظوظين لو امكننا بيع "بورتا" لهذه الشركة . ستكون فرصة عظيمة لنا ! " ثم دار ليعود إلى جهازه ، وبدأ يشغله مرة اخرى وهو يصفر من بين اسنانه .

وولت "فرانسيسكا" ببصرها خارج النافذة ، وقد اكفهرت السماء وبدت كما لوانها اوشكت ان تمطر . وتجاوب الطقس مع مزاجها ، حيث اجتاحتها موجة من القلق العنيف . إن "أوليفر" قد يعود في اية لحظة . وهي لن تطيق حتى سماع صوته .إنها تحتقره ، وشعرت بغصة في حلقها .

وسالت فجاة :

- " "مات" ، ايمكنني ان آخذ راحة بقية اليوم ؟ " واستدار إليها محملقا فيها ، وتعبيرات وجهه خليط من الدهشة والقلق .

- "بالتاكيد يمكنك - ما الخطب ؟ هل انت متعبة يا"فران" ؟ " ونهض ، وقد اوشكت ان تنقجر باكية لرقته ، وارتعشت شفتاها ، ونظر إليها مذعورا :

- " فران" ! ياإلهي ما الخطب ؟ " ولف يده حولها ومالت إليه ثانية او اثنتين ، تحاول ان تتماسك ، وان تلتمس الثقة ، ثم شعرت بخده على شعرها ، ويده تضمها ، ثم همس:

- "ياعزيزتي "فران" .

وتصلب جسدها ، وتقلص وجهها المختفي عنه . إنها لاتريد إيذاء "مات" ، بان تسمح له ليزداد غراما بها ، ولكنها تشعر ، دون أن تبدي ذلك ، بان صداقته تتحول منذ ايام إلى شيء آخر .

وخجلت لذلك . كان يجب عليها أن تبين بجلاء انها لاتضمر له إلا الإخاء ، ولم تتمن إطلاقا أن يصل الأمر إلى أن تضطر إلى ان تذكر ذلك صراحة ، ولكن هذه اللحظة التي لم تكن تتمناها قد حلت ، فماذا ياترى هي فاعلة ؟

وراح عقلها يعمل باقصى طاقته ، بحثا عن وسيلة لاتجرح "مات" ، وتبقيها عند الصداقة البريئة . وهمس لها ، وشفته قرب اذنها :

- " اخبريني ما الأمر ! " .

وكانت الدموع قد تدافعت داخل عينيها ، فتركتها تندفع وهي تجهش بالبكاء:

- " إنه .. "أوليفر" . وزمجر "مات" :

- " ماذا فعل بك ؟ " وبدا صوته عدائيا .

وهمست :

- " بودي لو لم احبه إلى هذه الدرجة " وضمها اكثر واجهشت مرة اخرى :

- " لا استطيع كبح غيرتي من "جانيس" .. إنهما على علاقة ببعضهما .. اعلم ذلك.. ولكني مازلت احبه ، هذه هي الحقيقة ... إن الحب لايغلق كصنبور المياه ، لا استطيع ، إنني امراة تخلص لرجلها ، حتى لو شعرت لحظة أن بودي لو اقتله " .

كانت ذراع "مات" لاتزال تحيط بخصرها ، ولكنه لم يعد يقبل شعرها، ولم تعد ذراعه تضمها .

- " إنه لا يستحق البكاء عليه ، إنه وغد اناني " . قال هذه العبارة متثاقلا ، ثم تظاهر بانه يسعل ، فارسل "فرانسيسكا" التي اسرعت تبحث عن منديل تجفف به عينيها، وقد ادارت جسدها لكيلا يرى وجهها ، ولم تكن هي ترى وجهه ، وبالتالي كان لدى الاثنين فرصة

ليتلافي كل منهما تعبيرات الحرج. وقالت هي بهدوء ، دون أن تنظر إلى "مات" :

- " اعتقد انني سأذهب إلى "جون" في هذه العطلة الاسبوعية . ساخذه للغداء ونزهة بالسيارة ، ولكن لاتخبر "أوليفر" ، اتعدني ؟ لقد ذكر شيئا عن زيارة "جون" ، ولست اريد ان اجد نفسي مجبرة على صحبة ثلاثية ، ساحاول ان اكون هناك مبكرة ، وآخذه قبل أن يصل "أوليفر" ، فهو يمكنه ان يراه مرة اخرى ، وانا اريده لنفسي عدة ساعات .. لعله قلق من التطورات ، ورؤيته لي ستعطيه شيئا من الاطمئنان . عدني الا تتفوه بكلمة لـ"أوليفر" يا "مات" . "

ورد عليها بلا انفعال :

- " لن افعل . ثقي بي " . فابتسمت له عندئذ ، وعيناها مليئتان بالحزن وايضا بالتاثر ، وقالت:

- " تعلم انني اثق بك " .

كان عليها ان تكون اكثر حذرا معه ، وان تحتفظ بمسافة بينها وبينه ، لقد كانت انانية منها ، وعدم روية ان تترك مشاعر "مات" تنحول إليها بهذه الصورة دون ان تفعل شيئا

لايمكن ان تقول : إنها فوجئت بذلك ، فهي قد بدات تشعر انه بدأ ينظر إليها بطريقة جديدة .

إنه لم يحدث من قبل ان كرر النظر ، لعله كان معجبا بها ، ولعل "أوليفر" كان على حق فيما قال عن انجذابه إليها . فهو يعرف "مات" افضل منها ، كما انه رجل ويمكنه ان يشعر بالاحاسيس الخفية لرجل مثله ، ولكن "مات" لم يعط نفسه الحرية ليسترسل في عواطفه تجاهها إلا حينما قررت ترك "أوليفر" . هكذا كان "مات" رجلا عاديا متعلقا بالتقاليد ، وقد اعجبها فيه هاتان الصفتان . لقد كان رجلا مخلصا ، ملتزما بقواعد اخلاقية راسخة ، ولم يكن ليخون صديقه ويسرق منه زوجته ، واهم من ذلك ، لم يكن ليخون زوجته مع امراة اخرى . واسفاه ان "أوليفر" ليس كـ"مات" !

وقال لها :

- " ساخبر "أوليفر" انك استأنفت لشراء بعض الثياب " .

- " فكرة رائعة ، فهذا سيبعده بعض الوقت " .

- " من الافضل ان تذهبي الآن قبل ان ياتي بحثا عنك " . وبدا عليه انه قد عاد كما كان ، فإن احاسيسه لم تجد وقتا لتغوص في اعماقه وبما انه لم يتوقع انها تشك في احاسيسه ، فلن يسبب له ذلك اي شعور بالذنب في حضورها . وسرعان ماسيستعيد طبيعته المرحة الودود .

- " إذن إلى يوم الاثنين " وهرعت منصرفة وذهبت إلى مسكنها ، حيث اعدت حقائبها ، وكانت قد اوشكت ان ترحل حين رن جرس التليفون ، وحملقت فيه مترددة ، ثم رات انه من الحكمة ان ترد عليه حتى لا يعلم "أوليفر" انها غادرت لندن .

وسالت بخشونة :

- " هالو ؟ "

وجاءها صوته عميقا ، مصرا :

- " فرانسيسكا" ، يجب ان نتحدث ، سواء اردت ام لم تريدي " .

وهمست :

- " دعني وشاني " وانهمرت الدموع من عينيها لمجرد سماع صوته ، ومسحت جفنيها غاضبة . فليس لها ان تبكي من أجله . لقد كان "مات" محقا ، فهو لايستحق .

وجاءها صوته متناغما :

- " تعلمين انني لن افعل ذلك "بالتاكيد ، هي تعلم ذلك ، فهو سيخسر كثيرا لوفعل ، وسيحارب كنمر في فخ ليبقيها معه .

- " لا اريد ان اتكلم معك ، لقد كذبت علي "

- " لا يا "فران" ، اعلم كيف بدا الامر ، ولكنك مخطئة ، لقد حاولت ان اخبرك بذلك في المكتب ، ولكنك لم تستمعي ، وقفزت إلى النتيجة الخاطئة ، إنني لم اكن اقبل "جانيس" ... "

وضحكت في ازدراء :

- " إذن علي أن أكشف على بصري ، لانني متأكدة انني رايتك تفعل " .

وصرخ نافد الصبر :

- " كلا ، ارجوك أن تسمعني ... انظري .. لابد أن نتقابل ، إنني مشغول طوال اليوم ، ولكني حر في المساء .. تناولي العشاء معي " لقد كان متأكدا انها ستفعل ، وومضت عيناها لإهانته ، لابد انه يحتقرها ليعتقد ان التاثير عليها سهل لهذه الدرجة !

لقد راتها على ركبتيه ، ذراعاها تحيطان برقبته ، وراتهما يتبادلان القبلات - ومع ذلك فإن "اوليفر" يعتقد ان بمقدوره ان يقنعها انها كانت مخطئة . لابد انه يعتقد فيها الغفلة التامة ، واحمر وجهها بقسوة الإهانة.

وقال في غرور أشعل سورة غضبها :

- " ساحضر لاخذك في السابعة " وكان مجرد صوته يسبب لها الرغبة في تحطيم ماحولها . وقالت ضاغطة على أسنانها :

- " لا أريد أن أراك ... لن افتح لك الباب " .

قال في برود :

- " اراك في السابعة " .

واغلق الخط . وهوت بسماعة جهازها ثم اخذت تحملق غاضبة . اهذا ما يظنه بها ؟ كيف تجرأ أن يكون واثقا من نفسه إلى هذه الدرجة ؟ او ان يكون واثقا من رضوخها بهذه الصورة المهينة ؟ حسنا ، فليتعلم درسا .

والتقطت حقيبتها واتجهت إلى الباب ، ثم إلى السيارة . حينما ياتي "اوليفر" في السابعة ، فليقرع الباب إلى أن يتجمد الجحيم فوق راسه . وسيكون بينها وبينه من المسافة وفرق الزمن مايمكنها من أن تنفذ ما انتوت فعله ، وتحدد كيف ستتعامل معه في المستقبل .

كانت متجهة إلى " يوركشاير" وستستغرق الرحلة ساعات ، ولذا توقفت لتتناول غداء خفيفا من الجبن الفرنسي ، والسلاطة ، ثم شربت

مياها معدنية لاغير ، اتبعتها بفنجان قهوة .

من شان هذه الاستراحة أن تقصر من طول الرحلة . ولكن الطقس كان يزداد سوءا وهي تتجه إلى الشمال ، وراقبت بقلق واهن منظر السماء المكتظة بالسحب . وكان الجو يزداد برودة ايضا . وكانت ترتدي "جاكت" من الصوف تدفئها بصورة طيبة ، ولكنها شعرت بقشعريرة من هبوب الهواء على وجهها خلال النافذة المفتوحة ، فاغلقتها وادارت جهاز التدفئة داخل السيارة .

في لندن يمكن تجاهل قسوة الشتاء ، ولكن هذه السحب الكثيفة في شهر ديسمبر تنذر بسقوط الثلوج ، ونظرت إلى ساعتها عابسة ، فهي كلما اتجهت إلى الشمال ، ازداد احتمال البرودة وتساقط الثلج ، فهل سيقدر لها أن تصل إلى وجهتها قبل سقوط اول بشائره .

لم يخطر ببالها من قبل أن الثلج من المحتمل هطوله في الشمال ، ولكنها حينما وصلت إلى قمة تل منحدر ، لمحت منظر الوديان تحتها ممتدة في منطقة "يوركشاير" ، وكان الوادي باكمله ابيض التلال ، والمروج ، والاكام كلها مغطاة بالثلج ، والاشجار متسربلة به كما في اعياد الميلاد ؛ والشجيرات مختبئة بداخله كالسيارات داخل المنازل ، وقد تخفت فيه باشكال غريبة محيرة . ولم تتعرف "فرانسيسكا" على معالم ذلك المنظر تحت هذه الثلوج ، وحملقت عابسة ولمعت الاشعة الواهنة لشمس الاصيل المائل للمغيب على الافرع الفضية ، والنوافذ الثلجية ، والبحيرات والنهيرات تاخذ في التجمد بسرعة .

وسيشتد الجو برودة بحلول الليل وغياب الشمس ، وستتجمد الطرق ، وستكون القيادة أكثر خطورة ، وهي لم تصل بعد إلى القرية التي كانت تقصدها لتبيت فيها . لقد حجزت غرفة فيها تليفونيا قبل بدء رحلتها ، ولم تجد اية صعوبة لندرة المسافرين في هذا الوقت من العام ، اما في الصيف ، فالامر جد مختلف، لان جمال هذه المنطقة يجذب إليها السياح في ذلك الموسم .

حينما اتت هي و"اوليفر" بـ"جون" إلى مدرسته خلال عطلات الصيف

ليراها ، نزلوا في تلك القرية في فندق ريفي بهيج ، خان من القرن السابع عشر تمت توسعته وتحديثه ببنايات خلف الخان القديم ، ولكنه مصمم معماريا على نفس الطراز ليتماشى معه .

كان هذا الفندق هو المكان الوحيد الذي يمكن الإقامة فيه بعد رحلة قيادة معقولة من المدرسة ولكن القرية ، والمدرسة ، كانتا بعيدتين عن الطريق الرئيسي ، مدفونتين في قلب الحقول ، وانتاب "فرانسيسكا" شك انها بوصولها إلى التفريعة المؤدية إلى القرية سيكون الظلام قد حل ، وتصبح الطرق زلقة بسبب الجليد .

ربما يتحتم عليها ان تنحرف عن الطريق الرئيسي الآن ، لتبحث عن مكان اخر تاوي إليه ، وتنظر ماسيكون عليه حال الطقس في الغد ؟

وابطأت السيارة مترددة ، إنها لم تذكر لـ"جون" انها قادمة إليه ، لم تزد على ان اعطت فكرة للمدرسة انها قد تفعل . ومن ثم يمكنها ان تعدل عن ذلك في اي وقت تشاء - ولكنها تتوق إلى رؤية ولدها ، فالشوق إليه يقتلها ، وتريد ان تطمئن عليه . إنها ستستمر مهما كان حال الطقس . لن يستغرق الأمر سوى ساعة واحدة تكون بعدها في خان القرية .

ولكن بعد ساعة من ذلك ، كانت لا تزال منحنية على مقود السيارة ، تدقق النظر في شيء من اليأس بين قطع الثلج المتساقط ، في بقعة بيضاء غريبة ، ضائعة وسط طرق لاتستطيع ان تتبينها على الخريطة ولم تفتأ تحاول ان تتبين الأضواء من حولها ، ولكن الطرق الضيقة المتعرجة والملتوية أمامها لم يبد عليها انها تؤدي إلى اية مساكن وبدأ الرعب يتملكها ، وكان مستوى الوقود لديها منخفضا ، حيث لم تجد جاراجا منذ فترة طويلة على الطريق ، وكانت تخشى ان ينفد الوقود قبل وصولها إلى بغيتها .

لايمكن ان تكون القرية بعيدة الآن ، أليس هذا مؤكدا ؟ وانحرفت بشدة بعد ان كادت تدخل تحت عجلات سيارة نقل كانت مندفعة تجاهها هابطة التل ، كما انحرفت السيارة لتتفاداها ، وبوقها يصم

الآذان ، وانوارها المبهرة تغشى بصرها .

وداست بشدة على المكابح ، فانزلقت السيارة على الطريق ، ولكنها توقفت في النهاية . واغلقت المحرك وانحنت على عجلة القيادة ، مصفرة الوجه ترتعد ، ورأت في مرآة سيارتها الأنوار الخلفية لسيارة النقل تختفي عند سفح التل، وخيم الصمت على المكان ، واخذ الثلج يصفع الزجاج الأمامي لسيارتها ، متراكما عليه .

وانتظرت دقيقة تستجمع فيها شتات نفسها ، ثم بدأت تشغل السيارة ، ودبت الحياة في المحرك واهنة ، ولكن السيارة لم تتحرك .

وغمغمت :

- " أواه ، كلا " وعاودت المحاولة ، وقدمها على ضاغط الوقود تحاول اقتناص اي مؤشر للحياة في المحرك ، وجاءتها همهمة ضعيفة ، اخذت تجاهد يائسة ان تبعث فيها الحياة ، ولكنها ماتت ، ولم تستطع هي ان تسترجعها مرة اخرى ، فالسيارة لن تتحرك من هذه المنطقة ، وينطبق هذا عليها بالتالي .

لقد سدت امامها السبل، في هذه المنطقة المقفرة، وسط هذه العاصفة الثلجية ، دون ادنى فكرة اين هي ، ولا كم يبعد عنها اقرب مكان .

وجلست ويداها على عجلة القيادة ، وتصيخ السمع ، تحملق في الجليد الذي يخطف الأبصار ماذا هي فاعلة بحق السماء ؟ اتظل مكانها لتتجمد حتى الموت، أم تخرج وتحاول ان تبحث عن القرية ، لتواجه خطر الموت وهي تتجول متعرضة للجو في منطقة كهذه ؟ ربما كان من دواعي الأمن ان تظل في سيارتها ، لقد مرت سيارة نقل منذ لحظات ، وقد تتلوها اخرى في اية لحظة ، وإلى ان يحدث هذا ، ليس عليها إلا ان توفر لنفسها الدفء والراحة بقدر إمكانها .

كانت قد وضعت حقيبتها على الكرسي الخلفي فانحنت وفتحتها ، واخرجت مافيها من بلوفرات وجوارب صوفية ، واخرجت كذلك بنطلونا من الجينز ، فارتدتها جميعا ، وفوقها الجاكت الصوفي :

الذي لم تتمكن من ان ترزه إلا بكل صعوبة . وكانت هناك بطانية

صوفية فالتحفت بها ولم يعنها كيف كانت تبدو في تلك اللحظة ، فالمهم أنها تشعر بالدفء ! فمن يعنيه منظرها ؟ وحملقت في الثلج المتطاير حولها حتى كلت عيناها ، وثقل جفناها ، وبدات تروح في النوم شيئا فشيئا ، ثم استيقظت على هزة في أعماقها .

يجب ألا تستسلم للنوم ، بل عليها أن تظل متيقظة واعية لما حولها، حتى يمكنها أن تلوح لأي سيارة قادمة . ولكن القول سهل والفعل صعب ، فالدفء والصمت تكاتفا مع الإرهاق بعد رحلة شاقة ليجعلا النوم جذابا بصورة خطيرة، وطفقت تأخذها نوبات من الاستسلام للنوم ، تتخللها تلك الصحوات المفزعة ، ولكنها كانت معركة خاسرة ، انتهت بسقوط رأسها إلى جانبها ، وقد راحت في سبات عميق .

وكان نومها من العمق لدرجة أنها لم تشعر بالسيارة التي تقترب من سيارتها، ولم تسمع صوت محركها المكتوم ، ولا انزلاقها على الأرض لتتوقف بالقرب منها ، ولاخطوات القادم على الثلج ولاأحست به خلال نافذة سيارتها .

ودار القادم حول السيارة، وانزلق إليها من باب الجهة اليمنى، وأغلقه وراءه، ثم انحنى عليها، يزيح بعناية خصلات من شعرها الأصفر، ليتمعن في وجهها، ثم يرفع البطانية عن جسدها ويمسحه بعينيه .

لم تشعر بكل ذلك ، ولم يتنبه عقلها الغارق في النوم إلا لحركات يديه بعد ذلك، بدأت تتحسس عنقها ، ثم بدأت تتحرك هابطة ، وهو يراقبها بعينين ثومضان ، وابتسامة غامضة كأنه يتوقع منها أن تستيقظ ، ثم تسللت أصابعه داخل ملابسها ، وكانت أصابعه باردة ، بينما كان صدرها شديد الدفء فعادت إلى وعيها كسمكة تقفز من ماء بارد ، تشهق ذعرا ، وفتحت عينيها بأقصى ماتستطيع ثم صرخت .

الفصل التاسع

- " لاتصرخي هكذا، إنه أنا " .

وردت في برود :

- " أعلم ! ولماذا تظن أني صرخت ، أبعد يديك عني " .

وصرخ محملقا فيها :

- " ولماذا أفعل بحق الجحيم ؟ " ولكنه سحب يده ، وفردها أمامها وقال :

- " إنك محظوظة - أنني لم أوقظك صفعا "

- " كنت أفضل ذلك ! "

وأسعدها أن تدرك كيف ضايقته ، وعبس لها قائلا :

- " لاتعتمدي على حظك كثيرا ! إني غاضب منك إلى الدرجة التي تجعلني أضربك الآن ، وهنا . ماذا تفعلين بحق الشياطين ؟ تقفين بسيارتك على جانب طريق موحش ، وتستغرقين في النوم ، تاركة أبواب السيارة غير موصدة ! أليس لديك أي إدراك ؟ احمدي ربك أنه لم

يعثر عليك شخص خطر " .

- " أو ليس هذا ماحدث ؟ "

ولم يلق بالا لتهكمها ، وقال :

- " لاتكوني غبية يا"فران" ، ثم شيء آخر ... ما الذي اعتراك حتى تسافري في يوم كهذا ، بينما حذرت الأرصاد من العاصفة الثلجية ، وأغلقت الطرق في هذه المنطقة ؟ "

- " لم أستمع لنشرة الأرصاد ، ولم يخطر ببالي أن الثلج سيتساقط مبكرا هكذا " .

ودارت بعينيها تتامل القطع المتطايرة حولهما . ثم تذكرت شيئا عبست له :

- " ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ .. ألم تقل إنك ستمر علي في السابعة؟ ما الذي جعلك تغير رأيك ؟ " وومضت عيناها الزرقاوان بالدهشة والغضب :

- " هل أخبرك "مات" ؟

ورأت طرفة خفيفة في عينيه فاستطردت :

- " أوقد فعل ؟ كيف جرؤ على الحنث بوعده لي ؟ "

- " مات" لم يحنث بوعده ، ولقد كان مضطرا إلى ذلك ، لصالحك " .

فأجابته بصوت غضوب ، والاحتقار على وجهها :

- " آه ، بالتأكيد و قد كان ! طبقا لتفكير الرجال ! "

وشكل حاجباه خطا مستقيما فوق عينيه:

- " كان المفترض أن تعرفي "مات" بصورة أفضل . لقد كان في مكتبي يتحدث عن أمر التوريد المتعلق بـ"بورتا" ، فشغلت المذياع لنعلم أسعار البورصة " فأطلقت ضحكة قصيرة :

- " وما دخل هذا بحنث "مات" بوعده ؟ :

- " كنت سأخبرك لو أعطيتني فرصة . لقد أخذنا نستمع إلى بقية الأنباء ، حتى جاء ذكر العاصفة الثلجية في هذه المنطقة ، وقرأت الذعر على وجه "مات" ، وفهمت سببه على الفور " .

- " أتظنني قد ولدت البارحة ؟ "

- " أحيانا لايوجد تفسير لأفعالك المجنونة إلا هذا " .

- " أتتوقع مني أن أصدق أنك قرأت أفكاره ، وخمنت أني قد جئت إلى هنا ؟ أهي مقدرة فطرية اكتسبتها فجأة ؟ "

- " لست أدعي قدرات خارقة ، إنه المنطق وشيء مما يسمونه غريزة المرأة ، قد يكون للرجال شيء منه . لقد وضعت كل الحقائق معا ، مدرسة "جون" في هذه المنطقة ، ومغادرتك المفاجئة ، وتلميحك ذات مرة أنك تتوقين لقضاء عطلة أسبوعية مع "جون" ، مضافا إلى الذعر على وجه "مات" ، جعلني أساله إن كنت سافرت لرؤية "جون" . وحينما غمغم محاولا التهرب من الإجابة ، أنذرته بالويل والثبور إذا لم يجبني إجابة صريحة ، وحدث لك مكروه " .

فردت ببرود ساخرة :

- " ياللرجل الشهم " .

وجاوبها "أوليفر" بنظرة مرعبة جعلت ركبتيها تصطكان ببعضهما ، واستطردت :

- " ولهذا تخاذل "مات" وأخبرك " .

وأمسك بذراعها يهزها بعنف :

- " ألا تكفين عن مخاطبتي بهذه الطريقة ؟ لقد قتلنا القلق عليك ، وإلا فما سبب انطلاقي بالسيارة كالمجنون ، على طرق أشبه بمناطق الانزلاق على الجليد ؟ كنت أتصور سيارتك مقلوبة في إحدى الحفر الجليدية ، وحتى حينما رأيتها واقفة على جانب الطريق ، ظننت أنه قد حدث لك حادثة حتى تيقنت من أنك بخير " .

وابتسمت له بمرارة :

- " ولهذا كانت يدك داخل ملابسي ؟ "

ووومضت عيناه غضبا :

- " يبدو أنك لم تدركي بعد مدى غبائك في تصرفك هذا ! لو لم أجدك، فربما كنت قد استيقظت لتجدي نفسك في صحبة خطرة . لقد أردت أن

اعطيك درسا لما كان من الممكن أن يحدث لك على أيد غريبة " .

وضحكت ساخرة :

- " إذن فقد كنت تعطيني درسا " .

- " وارجو أن تكوني قد تعلمته . حينما تضطرك مثل هذه الظروف مرة أخرى اوصدي ابواب سيارتك ، وإياك والنوم " . لقد كنت محظوظة " .

وكان لايزال قابضا على ذراعها لدرجة الإيلام ، وكانت ثقاومه بضراوة وهي تنظر إليه في حقد ، وقالت :

- " محظوظة ان استيقظ على اصابعك تعبث بجسدي ؟ تكفيك "جانيس سيلفستر" ، لاتقترب مني .. "

وبدا ، يريد أن يشرح لها ، وفي عينيه ومضة حزن :

- " اسمعيني يا "فران" .. "

ولم تكن تريد ان تسمع شيئاً ، لا اريد أن اعرف شيئا ! لقد سمعت من اكاذيبك مايكفيني بقية عمري ، فلا تحاول خديعتي بعد الآن " .

وعاد يحاول :

- " "فران" .. " ولكن غضبها كان قد وصل إلى مداه ، فضربته باقصى ما تملك من قوة .

وسمعت الشهيق العميق الوحشي الذي اخذه ، ورات جلده يبيض من الغيظ ، وكان حريا بها ان تذعر لذلك ، ولكنها احست بإحساس غريب بالزهو ، إذ اخرجته عن طوره بهذه الصورة ، فلم يعد ذلك الرجل الخفي ، السوبرمان بعد الآن - إنه يهبط من عليائه ليصير في مستواها ، المستوى الادمي ، حيث يمكن أن يجرح ويجرح .

وانتظرت ان ينفجرغيظه ، معتقدة انه قد يصل الأمر به إلى أن يبطش بها ، ولكنه بدل ان يفعل ، انقض عليها انقضاض الصقر على فريسته - يلتهم وجنتيها بشفتيه ، ويجعلها تنتفض من وقع دقات قلبها ، وذاب جلدها تحت حرارة شفتيه ، وحاولت ان تتماسك ، ولكنها لم تكن في الواقع تقاومه هو ، بل كانت تقاوم الرغبة التي

تفجرت داخلها ، واللذة التي ترجمتها انات وآهات السعادة المحمومة، واحتقرت نفسها ، فهي قد كانت تحاول أن تستجمع كل مالديها من منطق ومن نكاء ، ولكنه يكتسح كل ذلك امامه ولثم شفتيها المستسلمتين في صوت عميق بالرضا : فران ارجو أن تسمعيني الآن "

كانت قد نسيت كل شيء في تلك اللحظات ، ولكن "اوليفر" لم ينس . لقد دار رأسها نشوة ، ولكنه لم يفقد رأسه على الإطلاق ، كل مافي الأمر انه يضعها في الحالة المزاجية التي تجعلها تسمعه ، ليصب في اذنيها اكاذيبه الملفقة . حسنا ، إنها تسمع ، ولن تدعه يظن انه قد انتصر .

واطبقت باسنانها على شفته السفلى ، فصرخ قافزا حتى كادت رأسه ترتطم بسقف السيارة :

- " ايتها المراة ، ما الذي حل بك ؟ " وجلس بعد أن خلى سبيلها ، ووضع إصبعه على شفته ، ثم حملق فيها مصدوما وقال :

إنها تنزف "

وفتحت "فرانسيسكا" باب السيارة ثم خرجت جريا إلى سيارته . وكانت العاصفة تزداد سوءا ، والثلج يتطاير من حولها ، واقدامها تنزلق على الأرض ، وتجاهلت صياحه وراءها ، ودخلت سيارته ونزعت مفاتيح التشغيل ودستها في جيبها في اللحظة التي كان قد وصل فيها إليها .

- " اين المفاتيح ، ماهذه اللعبة البلهاء التي تلعبينها ؟ "

- " ستاخذها فقط حين تنقل حقيبتي إلى هنا ، إنك ستقودني إلى اقرب فندق " .

وحملق فيها بعينين صارمتين ، ثم صفق الباب وعاد إلى سيارتها ، وتنفست الصعداء ووضعت رأسها على عجلة القيادة ، ومنت نفسها بالفندق ، والطعام ، والدفء ، والفراش المريح .

وسمعته يقذف بحقيبتها في سيارته ، وفتح باب السيارة ، وناولها

مفاتيح سيارتها وقال متجهما :

- " تحركي ! " واحتل مكانها امام عجلة القيادة ، وهي سعيدة بإطاعة الأمر.

والقى البطانية عليها ، ولفتها حول جسدها مستدفئا ، واغلقت عيناها سعيدة بان يتولى عنها مسؤولية القيادة في هذه الظروف . وقفزت السيارة متحركة ببطء ، واخذ "اوليفر" يحملق في الطريق ، وكانت الرؤية منخفضة ، وكانت تعلم كم هي شاقة القيادة في مثل تلك الظروف ، وشعرت بنفسها اكثر امنا وهو وراء عجلة القيادة ، فهو سائق ماهر ، وهي ايضا ، ولكنه يبزها بما لديه من سرعة استجابة ، واعصاب من فولاذ .

وتناهت ورمقها ببرود وسال :

- " هل انت على مايرام الآن ؟ " قالت :

- " نعم اشكرك " .

مرقت سيارة نقل غشى ضوؤها المبهر عيونهما ، وصاح "اوليفر" لاعنا والسيارة تهتز يمينا فيسارا وهو يتفادى السيارة المارقة .

وكانت سيارته اكثر فخامة من سيارتها ، وشعرت بنفسها تغوص في كرسيها الوثير ، واخذ راسها يزداد ثقلا إلى ان استقرت على شيء صلب ودافئ . وحينما استيقظت كانت السيارة متوقفة ، وهو غير موجود .

ومسحت منطقة من الزجاج الأمامي . وحملقت خلالها فرات اضواء. كانت السيارة متوقفة بجوار مبنى تعلوه لافتة تتارجح مع الريح . وقد غطاها الثلج فطمس ماكتب عليها . كان المبنى يشبه حانة وليس الفندق الذي تتوق إليه .

وسمعت وقع اقدام . وفتح الباب ونظر إليها "اوليفر" :

- " اوه ، لقد استيقظت ! لم اشا ان ازعجك حتي اتاكد من وجود غرفة ، وقد صادفنا الحظ . هيا ، ساحمل امتعتك " .

وخرجت وقد هبت الرياح الباردة في هجمة جديدة ، وانحنت وهي

تجري إلى داخل المدخل المضيء الذي لاتكاد تتبينه ، ووخزات كالإبر تصفع وجهها ، واسنانها تصطك من البرد . واندفعت إلى الداخل ، ورمت بنفسها لاهثة على اريكة حالت الوان حشيتها الجلدية المتهرئة . وكان هناك مجموعة من الرجال يحملقون فيها في صمت .

وجاءت سيدة متوسطة العمر في ملابس بيضاء نظيفة حيتها بابتسامة مؤدبة:

- " مساء الخير انا صاحبة كافتيريا مسز "هوايت" . ليست ليلة مناسبة للسفر ، اليس كذلك ؟ " وبدت كما لو كانت لاتقر ما يقوم به الناس من سفر ، فربت عليها :

- " كنا بسبيلنا لزيارة ابننا في مدرسة داخلية قريبة من هنا " .

- " هذا مانكره زوجك . وكما تعلمين ، هذا المكان ليس فندقا ، بل كافتيريا ، ومن ثم فنحن لا نتقبل ضيوفا للمبيت ، ولكنا في ليلة كهذه لايمكننا رد اي سائل" .

وابتسمت لها في خفة ، وقالت :

- " إنك سيدة طيبة القلب ، اشكرك .. "

ولم تبادلها مسز "هوايت" الابتسام ، وبدت كما لو كانت قد اخذت ابتسامتها على انها تصرف فتاة غرة ، إذ كانت هي ذات مظهر متحفظ، صارمة النظرات، متجهمة الوجه إلى حد ما . ورات "فرانسيسكا" انها محطمة الأعصاب .

وقالت لها :

- " هيا لتصعدا إلى غرفتكما " .

وكان "اوليفر" قد ظهر حاملا حقيبة "فرانسيسكا" . وكانت الرقة قد طغت على سلوكها بمجرد ظهوره ، واحست "فرانسيسكا" انها سيدة متمسكة بالقيم.

وقادتهما عبر درج معتم وهي تقول :

- " هناك ماء دافيء وفير للحمام الذي ذكرت انكما محتاجان إليه . كما يمكنني ان اجهز لكما وجبة منزلية تكون جاهزة وقت طلبكما " .

ورمقت "فرانسيسكا" بنظرة جانبية بشيء من عدم الرضا ، واستطردت:

- " ليست وليمة فاخرة ، بل وجبة عادية من شرائح الكبد مع الخضراوات ، ثم فطيرة تفاح " .

وسألها "أوليفر" :

- " بالكثير من السكر فوقها ! " واعتبرت "فرانسيسكا" رنة صوته دليلا على النهم .

وردت وهي تفتح لهما باب الغرفة :

-"أوه ، بالتأكيد ، وطبقة وافرة من الكريمة . وكانت ترد متحمسة وهي ترقب "أوليفر" برضا ، وقد بدا عليه فرط الجوع . وقال:

- " انا لايمكنني الانتظار "

فانحنت له قائلة :

خذا حمامكما اولا ، ثم اهبطا بعد ساعة " .

واختفت تاركة "فرانسيسكا" تحملق في الغرفة الرحبة المؤثثة بصورة مقبضة ، سرير ضخم من الطراز الفيكتوري مغطى بغطاء مخملي أحمر متناسق مع ستائر الغرفة على نوافذها المرتفعة . وكانت الغرفة باردة ، ولكن "أوليفر" كان راكعا إلى الموقد الخاص بالمدفأة يراعيه بعناية .

وسألت "فرانسيكا" وقد بدا قلب المدفأة يتوهج بالوان بديعة :

- " أهذه غرفتك أم غرفتي ؟ "

قال "أوليفر" وهو يتامل صنع يديه بإعجاب :

- " أمل الا تسبب المدخنة دخاناً ، لقد اكدت مسز "هوايت" ان هذا لن يحدث".

وصاحت والقلق ينهش صدرها :

- " أوليفر" ، غرفة من هذه ؟ "

- " فرد بلا اهتمام وهو ينهض على قدميه :

- " هذه هي الغرفة الوحيدة في المكان " .

قالت وهي تستدير للخروج :

- " لا اصدق ، سانهب لأطلب غرفة خاصة بي " .

- فرد عليها :

- " لم اكن لافعل ذلك " قالت وهي ترمقه بكراهية :

- " اعلم انك لم تكن لتفعل " .

- " لقد اعطتنا هذه الغرفة على اساس اننا متزوجان ، فإذا نزلت وزرعت الشك في نفسها حول هذا الامر ، فسينتهي بنا الامر نائمين على الجليد في الخارج " .

وكانت النار قد ارتفع لهيبها ، ومن دفئها احست بمدى ماكانت عليه برودتها ، وكانت جد مرهقة ، وكذا كان "أوليفر" . واستطرد :

- " كما اني اتضور جوعا ، وارفض ان يحال بيني وبين شرائح الكبد وفطيرة التفاح ذات الكريمة " .

وردت بمرارة :

- " لن انام معك " وجالت بنظرها في السرير الضخم بغطائه الأحمر ، الذي يشع إغراء بالراحة ، كانت فكرة الغوص في حشيته في غرفة تتراقص نيران مدفاتها في الجو القارس أكبر من أن تقاوم .

قال وهو يفك ازرار قميصه :

- " سارتب لنفسي فراشا بجوار المدفأة : .

وصرخت فيه وقد تصلب جسدها :

- " ماذا تفعل ؟ "

فجاوبها بنظرة ساقرة من خلال اهدابه مبتسما :

- " ساكون اول من يذهب إلى الحمام " . ونزع سترته وقميصه ثم اختفى خلال الباب البعيد ، وسمعت صوت المياه ، ثم عاد عاري الجسد إلا من بنطلون أزرق . وابتلعت ريقها وقد جف حلقها ، واشاحت ببصرها بعيدا وهو يجري إلى حقيبة سفره الصغيرة ليخرج منها بعضا من الملابس واستدارت إلى حقيبتها تفعل نفس الشيء ، وقالت له ونبضها يدق بعنف مع كل حركة له في الغرفة :

- " لا تستهلك كل الماء الدافيء " .

فرد في نغمة حنون :

- " لقد كنا متعودين على المشاركة في الحمام " وتصنعت انها لم تسمع شيئا ، وإن عصرت الذكرى قلبها . تذكرت كيف كانا زوجين عاشقين يشتركان في كل شيء .

وقال مغريا :

- " يمكننا المشاركة في هذا " . ولم ترد ، وانصرفت تعلق ثيابها ، وسمعت بعد لحظات صوت باب الحمام يغلق ، والماء يتدفق ، ثم صوت طرطشة عالية ، إذ من عادته ان يملأ الحمام طرطشة ، وعليه ان يواجه مسز "هوايت" لتفسير ذلك . وراحت في عجلة تبدل ثيابها ، وحمدت ربها انها احضرت رداء نوم يغلق حتى رقبتها .

وعاد "اوليفر" وهي جاثية امام النار تغذيها بقطع من الخشب ، وكان وجهها محتقنا بفعل اللهب ، وخصلات شعرها الطويل تحيط بكتفيها، واستدارت ببصرها ، وشهقت حينما رأته عاريا ، فحولت نظرها وهبت على قدميها ، وجمعت ملابسها واندفعت إلى الحمام .

وصاح وراءها مقهقها في تهكم :

- " لماذا العجلة :

كزت على اسنانها وصفقت باب الحمام ، ثم استندت إلى جدار البانيو وهي تغلي . إذا كان يتصرف بهذه الطريقة قبل العشاء ، فكيف سيتصرف حينما ياويان إلى النوم .

وطرق الباب :

- " لاتستغرقي طويلا ، إني جائع " .

وتجاهلته واخذت وقتها في التمتع بالحمام ، معترفة بذوق مسز "هوايت" الرائع في المسائل المتعلقة بالحمام وعطوره وانواع الصابون فيه . ثم وضعت عليها ملابسها " بلوزة بيضاء وتنورة زرقاء سماوية، وقرطاً من اللؤلؤ قررت ان تلبسه في تلك الأمسية .

وتاملها في خبث قبل ان يهبط للعشاء . وقال لها :

- " إنك تبدين كزوجة محترمة ، وستسربك مسز "هوايت" :

- " لست ابالي برايها . ثم ما العيب فيما كنت ارتديه ؟ "

فرد بنعومة :

- " في السويتر والجينز ؟ لا ، لقد كنت غاية في الجاذبية والغموض. لقد شكت مسز "هوايت" في انك زوجتي ، معتقدة انك صديقتي " فردت باقتضاب :

- " كلا ، إن ذوقي ارقى من ذلك " .

وراتهما مسز "هوايت" يدخلان الصالة فهبت للقائهما ، وقادتهما إلى غرفة غذاء جانبية حيث يتناولان عشاءهما بمفردهما . لم تكن هناك اضواء ، او شموع على المنضدة ، لا ازهار ولا فضيات . كان الطعام عاديا ، ولكنه كان جيدا ، وكانا جائعين ، فلم يفتقدا المتعة التي تعطيها افخم الولائم ، وبعد الطعام كانت القهوة القوية . كان الثلج قد توقف ، واخذت اضواء الخان تنعكس على بللورات الثلج على زجاج النوافذ .

وكرر "اوليفر" تهنئته لمسز "هوايت" حينما حضرت لرفع قدحي القهوة ، ولتذكرهما بادب بالوقت . وذهلت "فرانسيسكا" لان الساعة كانت لاتزال تشير إلى ما بعد الساعة العاشرة بقليل ، إذ كانت تشعر بان الليل كانه قد انتصف . لقد كان يوما مليئا بالاحداث ، ففقدت الإحساس بالوقت .

وتثاءبت ، وصادف ذلك رضا من مسز "هوايت" ، فقالت :

- " إن زوجتك مرهقة " .

فردت :

- " طابت ليلتك ، وشكرا لك " واتجهت إلى الدرج مواصلة التثاؤب .

وتبعها "اوليفر" ، والدرج الخشبي يصدر أطيطا تحت ثقل وزنه ، وجاءت دقات من مكان ما تشير إلى العاشرة والربع .

والتقطت "فرانسيسكا" رداءها الليلي واتجهت إلى الحمام لتبدل ثيابها ، واخذت وقتها في تمشيط شعرها وغسل وجهها وتسويك

اسنانها ، ثم فتحت باب الحمام ، وكان "اوليفر" مشغولا بالمدفأة . ونهض بينما "فرانسيسكا" تعبر الغرفة تهفهف بردائها الليلي فيكتوري الطراز .

واضطربت لطريقة نظره إليها ، بعينين تشعان وميضا غامضا ، إنها لن تدعه يحط من شانها ، ولذا تجاهلت نظراته ، وقالت وهي تلتف في اغطية الفراش :

- " الحمام جاهز لك " .

وكانت قد توقعت أن يكون الفراش باردا ، ولكن يبدو ان مسز "هوايت" قد حضرت بينما هما يتناولان العشاء ، ووضعت فيه قوارير الماء الساخن ، فما إن شعرت "فرانسيسكا" بالدفء اللذيذ حتى هتفت جذلة :

- " القوارير الساخنة ! " واغلقت عينيها .

وفتح باب الحمام وسالها :

- " ماذا قلت ؟ " فانفجرت متثائبة ، وقالت :

- " قوارير ... الـ .. ماء ... الساخن ... باللروعة " قال :

- " حسنا ، ساخدها منك فلست محتاجة إليها ، إذ لديك فراش بينما ساتجمد انا على الأرض الباردة " ردت :

- " حينما تعود من الحمام ... "

وبدا انه اقتنع بالرد ، إذ اغلق عليه باب الحمام مرة اخرى ، اما هي فقد بدات تروح في نوم هادئ لذيذ كما لو كانت تغوص في احد البساتين ، كان السرير دافئا ، وكانت في غاية التعب .

واخذت الأحلام تراودها ، ترى نفسها فيها بين ذراعي "اوليفر" في هذا الفراش الوثير ، وفي وقت مافي جوف الليل كانت تتخيل نفسها كعهدها دائما الزوجة العاشقة الوالهة، تبادل زوجها الحبيب مداعباته.

وانتفضت بصرخة مكتومة ، وقالت في صوت اجش :

- " ماذا تفعل في فراشي ؟ كان المفترض ان اعرف انه لايمكن الوثوق

بك" قال "اوليفر" :

- " لقد امضيت الساعات على هذه الأرضية الملعونة إلى ان انطفات نيران المدفأة ، وبدات عضلات جسدي تتقلص ، وفراشك يبدو دافئا ويتسع لستة افراد ، وقدرت انك في سبات عميق ولن تنتبهي لوجودي إلى ان يحل الصباح " ثم نظر إليها نظرة ذات مغزى قائلا :

- " ولكنك انت التي بدات المداعبات "

همس "اوليفر" لـ"فرانسيسكا" :

- " احبك يا"فران" . وتنهدت ، واعتدل في الفراش وقال :

- " "فران" ، إنني جد مرهق ، وفي غاية الحاجة إلى النوم فبينما كنت تغطين في النوم كنت اتقلب على هذه الأرض الصلبة . غدا يمكننا ان نتحدث فيما يزعجك"

- " في الغد ساكون مع احد المحامين للبدء في اجراءات الطلاق " . فرد ردا قاطعا :

- " لن يكون هناك طلاق " .

- " اتعتقد ان متعة هذه الليلة ستنسيني منظرك وانت تقبل "جانيس" ؟ "

- " لم اكن اقبلها ، بل كانت هي التي تقبلني " ونظرت إليه شزرا :

- " تقبلك عنوة ، اليس كذلك ؟ "

- " بلى ! لقد فوجئت بها ترتمي علي وتنهال بما رايت . اعتقد انها فعلت ذلك بعد ان لمحت ظلك على زجاج الباب قادمة " وفتحت عينيها على اقصى اتساعهما ثم سالت :

- " وماذا فعلت انت ؟ "

فرد عليها :

- " فصلتها " .

وانتابتها الهواجس ، فهو ماهر في الإقناع ، وهذا سر نجاحه كمدير للمبيعات ، فما الذي يحاول بيعه لها هذه المرة ؟ وكم مقدار الصدق في حديثه ؟

وردت ساخرة :

- " خطوة حكيمة ، ولكنها متاخرة . كان يجدر بك أن تفعل ذلك عند وصولي إلى لندن ، لتريحني من شكوكي ، ولكنك اعطيتها الفرصة لتتلاعب بي . إنني اكره فكرة الطلاق ، لخاطر "جون" إن لم يكن لخاطرك، ولكن الأمر قد انتهى بيننا " .

وغلب عليها البكاء . لقد كانت تحبه ، وتكرهه لأنه جعلها تعاني اقسى مما تحتمل . وقال :

- " اقسم لك انه لم يكن بيني وبينها اية علاقة " .

فردت غاضبة :

- " ارجوك ، لااريد مزيدا من الأكاذيب " وتصلب جسده ، واكفهر وجهه من الغضب ، وقال :

- " بالله عليك .. كيف يمكنني ان اثبت لك صدق ما اقول ؟ لقد كانت سكرتيرتي ، سكرتيرة ممتازة ، ومن المؤكد ان نكون معا في اغلب الأوقات ، ولم يكن بيني وبينها سوى العمل ، واقسم لك " .

لقد كان كلامه مقنعا ، وكانت تود لو تقتنع ، ولكن اي خطر سيحيق بها لو حدث ذلك ؟ لقد فصل "جانيس" ، وانتهت قصتها ، وعاد يركز كل انتباهه عليها، اليس هذا ماجاءت من اجله إلى لندن ؟ لقد سالت "مات" أن يعطيها عملا في الشركة لتكون بجواره ، فلم تكن لتتخلى عنه دون صراع .

وسالت بتهكم :

- " واعتقد انك لاتعرف انها كانت متيمة بك ؟ " فهز كتفيه قائلا :

- " لقد كانت تظهر ذلك على الدوام ، والرجال يحبون ان يكونوا مطاردين لامطاردين ، ولقد بدات تثير ضجري " .

فسالت على الفور غير مصدقة :

- " ولماذا ابقيتها إذن ؟ " فرمقها بابتسامة تهكمية وقال :

- " لقد كانت سكرتيرة ممتازة ، ولم اكن لأحرم نفسي من قدراتها لمجرد اعمالها الغبية ، وكنت متحكما في الموقف تماما إلى ان وصلت

انت ... وراتها فرصة سانحة لأن تحل هي محلك " .

وشعرت فجاة بالإشفاق على تلك الفتاة الغرة ، اتراها كانت تحب "اوليفر" حقيقة ؟ ام ان الامر لا يعدو طموحا ورغبة في أن تكون في وضع زوجة له؟

وسالت :

- " وماذا هي فاعلة الآن ؟ "

قال :

- " لقد رتبت لها وظيفة طيبة مع بعض عملائنا في اليابان ، اغلب الظن انها ترتب نفسها الآن لغياب طويل . لقد رحلت عن حياتنا إلى الأبد " .

قالت :

- " وخيرا فعلت " .

قال "اوليفر" جادا :

- " "فران" ، إنني احبك " .

- " ولكني لن اعود إلى "لامبورن" للإقامة فيه "

قال :

- " لك ذلك " .

- " هذا إلا في فترات عطلات "جون" . إنني في حاجة إلى العمل حتى لايعود الملل يمزقني مرة اخرى ..

- " ما رايك لو اخذت مكان "جانيس" ؟ "

- " لن اظل سكرتيرة إلى الأبد، فانا من كبار المساهمين، هل نسيت ؟ "ساكون مديرة لقسم الدعاية والإعلان في الشركة " .

- " إنك ترعبينني ، كم ياترى سيبقى لي من نفوذ في الشركة بعد سنوات قلائل؟"

- " انسيت اننا اسسنا الشركة نحن الثلاثة .. والا ترى انني كنت موفقة مع "مستر "ابي" .

- " حسنا حسنا ، خذي من الإدارات مايعجبك ، حتى ولو اردت

الإدارة التابعة لي ، دعيني الآن فقط انال قسطا من النوم .

وردت عليه قبلته بمثلها ، وضمت جسدها إليه . لقد استعادته ولن تدعه يضيع منها مرة اخرى . وهي لاتريد ان تكون جشعة فتطلب اكثر من هذا ، إذ إنها كسبت كل شيء ، في الوقت الذي اعتقدت فيه انها خسرت كل شيء .

ولكنها ليلة ساحرة ، رائعة بالريح العاصفة تدوي خارج غرفتهما ، والدفء يشع داخلها .

ولعله لن يكون كثيرا على سحرها ان تنال فيها ما تتوق إليه .. طفل جديد ...

وضمت رجلها إليها ، ودعت ربها في سرها ان يهبها معجزة اخرى.

(تمت بحمد الله)